مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٤ المجلد ١٤/ العدد ٣

البعثة العسكرية الفرنسية ودورها في تنظيم الضابطية اللبنانية
١٨٦٣-١٨٦٥

أ.م.د. كريم عباس حسون
المديرية العامة لتربية بابل

البريد الإلكتروني Email : karimaljebourey@gmail.com

الكلمات المفتاحية: لبنان – داود– فان– بعثة – فرنسا.

كيفية اقتباس البحث
حسون ، كريم عباس، البعثة العسكرية الفرنسية ودورها في تنظيم الضابطية اللبنانية١٨٦٣-١٨٦٥، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٤،المجلد:١٤ ،العدد:٣ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The French military mission and its role in organizing the Lebanese police 1863-1865

Assist prof. Karem Abbas Hassoon
Directorate of Education in Babylon

Keywords : Lebanon - Daoud -Van – Mission- French .

How To Cite This Article
Hassoon, Karem Abbas, The French military mission and its role in organizing the Lebanese police 1863-1865, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2024,Volume:14,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The job of implementing what was stated in Article Fifteen of the Mount Lebanon Mutasarrifate System, which was issued in9 June of the year1861, which stipulated the formation of a force to maintain security and assist its administrator in implementing the laws. The thinking of the administrator Daoud Pasha, who saw that his rule could not be established and his decisions implemented except by forming an armed force to help him implement his orders. However, the problem he faced was how to organize and train it and who to rely on. Especially since Mount Lebanon was going through a stage of internal conflict, represented by its sects, and external conflict, represented by the conflict between the major powers to consolidate their influence there. Nevertheless, Daoud Pasha's cunning, political culture and knowledge of the course of affairs.

It made him influence France over other European countries to organize his power, and for this reason, he asked the French government. Through its Consul General in Beirut, to send a French military mission to train and organize the Lebanese police force, provided that France found that implementing what Daoud Pasha requested was nothing but a

service to its interests in Mount Lebanon. Furthermore, in honor of Al-Waglouf for the neglect of the French military mission and its role in the organization of the Lebanese police. The elucidation of the research ((The French military mission and its role in the organization of the Lebanese police) 1865-1863)) is to concentrate on the role played by that mission and the paths it followed in the organization. Moreover, considering that the mission had begun its work with knowledge 1863 and the mission of Captain Van, ended with his return to France in 1865.

المقدمة

اهتم الأنسان بحفظ الأمن منذ القدم، ورأى فيه حياة الاستقرار والتقدم ولولاه لأصبحت الحياة البشرية في حكم المستحيل ولتحولت الى حياة الغابة أسوة بحياة الحيوانات الأخرى، ولهذا كلفت المجتمعات البشرية أفراداً منهم لحمايتهم وخصصت لهم أموالاً لتنظيم أمورهم ومنحتهم السلطات ونظمت لهم القوانين، وبتوسع المجتمعات البشرية وتطورها، توسعت مهمة وصلاحيات أولئك الأفراد حتى أصبحوا قوة منظمة لها قوانينها الخاصة وتعددت مهماتها وأسمائها وتنوعت أساليبها وأقسامها، فمنها ما خصص للدفاع عن الدولة وكيانها السياسي وتوسيع رقعتها الجغرافية، ومنها ما خصص لحفظ أمنها الداخلي، وقد عرف القسم الثاني بأسماء عدة منها البوليس والشرطة والجندرمة والضابطية على الرغم من وحدة الهدف الذي أُنشأت من أجله .

ومن المعلوم أنَّ الدولة العثمانية تبنت في القرن التاسع عشر الانظمة الاوربية لاسيما في الشؤون العسكرية والامنية واستعانت بالدول الاوربية لبناء قواتها وتعزيز قدراتها العسكرية والامنية، وشكلت قوات لحفظ الأمن مستعينة بتلك الدول ووزعت قواتها على الولايات الخاضعة لها وبضمنها متصرفية جبل لبنان التي نصت المادة الخامسة عشر من نظامها الذي صدر في ٩ حزيران عام ١٨٦١ على تشكيل تلك القوة لحفظ أمنها ومساعدة متصرفها لتنفيذ القوانين التي يقررها وأُطلق عليها اسم الجندرمة أو الضابطية .

وقد شغل تنفيذ ما ورد في المادة أعلاه تفكير المتصرف داود باشا الذي رأى أنَّه لا يمكن تثبيت حكمه وتنفيذ قراراته إلا بتشكيل قوة مسلحة تساعده في تنفيذ أوامره إلا أن المشكلة التي واجهته هي كيفية تنظيمها وتدريبها والجهة التي يعتمد عليها لاسيما أنَّ جبل لبنان كان يعيش مرحلة من الصراع الداخلي متمثلاً بطوائفه والخارجي متمثلاً بالصراع بين الدول الكبرى لترسيخ نفوذها هناك، إلا أنَّ دهاء داود باشا وثقافته السياسية واطلاعه على مجريات الامور جعلته يُؤثر فرنسا على غيرها من الدول الاوربية لتنظيم قوته تلك، ولهذا طلب من الحكومة الفرنسية ومن خلال قنصلها العام في بيروت ارسال بعثة عسكرية فرنسية لتدريب وتنظيم قوة الضابطية اللبنانية

على أنَّ فرنسا وجدت أن تنفيذ ما طلبه داود باشا ما هو إلا خدمة لمصالحها في جبل لبنان، ولهذا أسرعت في تنفيذ ذلك .

ومن أجل الوقوف على مهمة البعثة العسكرية الفرنسية ودورها في تنظيم الضابطية اللبنانية، جاء بحثنا الموسوم ((البعثة العسكرية الفرنسية ودورها في تنظيم الضابطية اللبنانية ١٨٦٣-١٨٦٥)) للوقوف على الدور الذي اضطلعت به تلك البعثة والطرق التي اتبعتها في التنظيم، وحدد الاطار الزمني للبحث بين ذينك العامين على اعتبار أنَّ البعثة بدأت عملها عام ١٨٦٣ وأنَّ مهمة رئيسها الكابتن (فان) انتهت بعودته إلى فرنسا عام ١٨٦٥ .

وقد قسم البحث على عدة محاور بدءاً في المدخل، والبعثة العسكرية الفرنسية، والاسلحة والتجهيزات، والتدريب والتنظيم، والعلاقة بين المتصرف وضباط البعثة العسكرية الفرنسية، وأعداد الضابطية، وقيادتها، وتجنيدها، ومهماتها، ومراكز وجودها، وقد اعتمد الباحث على مصادرة متنوعة جاء على رأسها الوثائق الدبلوماسية الفرنسية التي جمعها المؤرخ عادل اسماعيل وهي باللغة الفرنسية واستفاد منها الباحث من المجلدين الحادي عشر والثاني عشر، فضلاً عن كتاب لبنان في عهد المتصرفية لأسد رستم والمقاطعات اللبنانية في اطار بلاد الشام للمؤرخ ياسين سويد .

المدخل

كان تطبيق القوانين وتنفيذ الأوامر التي أصدرها حكام جبل لبنان، سواء في عهد الامارة الشهابية[١] وما قبلها أم في عهد القائمقاميتين[٢] يتم عن طريق قوتين، الاولى عرفت بالحوَالة[٣] ومهمتها جمع الضرائب أو ما يسمى بالويركو[٤]، والاخرى أطلق عليها الجندرمة[٥] أو الضابطية وهي قوة غير نظامية أُوكل لهما حفظ الأمن والنظام في منطقة جبل لبنان، وارتبطت تلك القوتان بأمير جبل لبنان ومن ثم بقائمقامي الدروز[٦] والمسيحيين، واستمر العمل بذلك النظام حتى عام ١٨٦١ حيث أصدر السلطان العثماني عبدالمجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١) وبموافقة الدول الاوربية الكبرى[٧] فرماناً نظَم فيه شؤون جبل لبنان سياسياً وأمنياً، ونتيجة لذلك تغيرت القوانين الخاصة بجمع الضرائب وحفظ الأمن هناك وصدرت قوانين جديدة نظمت عمل القوة المسؤولة عن تنفيذ تلك القوانين[٨] .

وقد نصّت المادة الخامسة عشر من نظام جبل لبنان الذي صدر في ٩ حزيران عام ١٩٦١[٩] على تشكيل قوة مسلحة وطنية لبنانية تحت قيادة متصرف جبل لبنان لحفظ الأمن الداخلي وتنفيذ القوانين وتجنب تدخل القوات العثمانية في متصرفية جبل لبنان، ومما جاء في تلك المادة ((**حفظ الأمن وتنفيذ القوانين يتمان بواسطة شرطة يتم تجنيدها من الأهالي**)) [١٠]،

وأطلق عليها اسم الضابطية اللبنانية وبواقع ٧ أشخاص لكل الف نسمة من سكان المتصرفية، وحدد النظام الجديد لجبل لبنان واجباتها وسلوكها العام ومنع عليها قبول المكافأة من الأهالي لأي سبب كان وفرضت اجراءات تأديبية بحق المخالفين[١١]، وبما أنَّ عدد سكان المتصرفية قُدِر عام ١٨٦٢ حوالي ٢٢٦٤٨١ نسمة فأنَّ عدد الضابطية التي وجب تدريبها هو ١٥٨٦ ضابطي موزعين على جميع الطوائف اللبنانية وكما مبين في الجدول الآتي[١٢]

اسم الطائفة	عدد السكان	عدد الضابطية	نسبة تمثيل الطائفة في الضابطية الى العدد الكلي
الموارنة	١٣١٨٠٠	٩٢٣	%٥٨.٢
الروم الارثوذكس	٢٩٣٢٠	٢٠٥	%١٣
الروم الكاثوليك	١٩٣٧٠	١٣٦	%٨.٥
الدروز	٢٨٥٦٠	٢٠٠	%١٢.٦
المسلمون الشيعة	٩٨٢٠	٦٩	%٤.٣
المسلمون السنة	٧٦١١	٥٣	%٣.٤
البروتستانت	١٠٠	-------	-------
اليهود	٢٠	-------	-------
المجموع	٢٢٦٦٠١	١٥٨٦	%١٠٠

وتبين من الجدول أعلاه أنَّ الموارنة مثّلوا حوالي٣/٥ أي ٦٠% من المجموع الكلي لعدد الضابطية اللبنانية وللطوائف جميعها، أما إذا أخذنا تقسيم العدد على أساس ديني أي مسلمين ومسيحيين فأنَّ الأخيرين شكلوا ٤/٥ أي بنسبة ٧٩.٩% من مجموع الضابطية في متصرفية جبل لبنان، ولهذا أصبح العنصر المسيحي الأكثرية في الضابطية اللبنانية وانسحب ذلك على تكوين الجيش اللبناني فيما بعد.

وهناك من أشار الى أنَّ عدد سكان الموارنة هو ١٧١٨٠٠ نسمة وليس كما في الجدول أعلاه، وبالتالي فأنَّه إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ذلك يصبح عدد سكان جبل لبنان ٢٦٦٤٨٧ نسمة، وبذلك تزداد نسبة تمثيل الموارنة على حساب الطوائف الأخرى وكما مبين في الجدول التالي[١٣] .

اسم الطائفة	عدد السكان	عدد الضابطية	نسبة تمثيل الطائفة في الضابطية الى العدد الكلي
الموارنة	١٧١٨٠٠	١١٩٧	%٦٥
الروم الارثوذكس	٢٩٣٢٦	٢٠٤	%١١.١
الروم الكاثوليك	١٩٣٧٠	١٣١	%٧.١

الدروز	٢٨٥٦٠	١٩٦	%١٠.٧
المسلمين الشيعة	٩٨٢٠	٦٣	%٣.٤
المسلمين الشيعة	٧٦١١	٤٩	%٢.٧
المجموع	٢٦٦٤٨٧	١٨٤٠	%١٠٠

وما أنْ تولى داود باشا[١٤] مهمته كمتصرف على جبل لبنان في حزيران عام ١٨٦١ حتى استدعى ضابطاً بريطانياً وهو النقيب ماسون (Masson) للأشراف على تشكيل القوة التي كلفت بحفظ الأمن والنظام في المتصرفية ، وخدم ماسون قبل وصوله الى جبل لبنان في الهند وكان يجيد اللغة العربية وله إلمام ببعض التقاليد العربية، وعيَن ضابطاً عثمانياً من أصل مجري مساعداً له، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها ماسون ومساعده إلا أن داود لم يكن راغباً في الابقاء عليهما؛ لأن تعيينهما أثار حفيظة الفرنسيين الذين اتهموا داود بموالاته للبريطانيين، ورأوا أن تعيين ضابط بريطاني هو ترسيخ للنفوذ البريطاني وإبعاد النفوذ الفرنسي في جبل لبنان، وأدرك داود باشا أنَ الفرنسيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي لاسيما أن الظروف السياسية والاجتماعية في جبل لبنان كانت لصالحهم إذ أنَ كره الموارنة الذين شكلوا الأكثرية في جبل لبنان للبريطانيين كانت ورقة رابحة بيد الفرنسيين في إثارتهم متى شاءوا ضد داود باشا والطلب منهم بعدم تنفيذ القوانين التي أصدرها وبالتالي فشل مهمته كمتصرف لجبل لبنان[١٥].

البعثة العسكرية الفرنسية

شغل تشكيل الضابطية اللبنانية ومسؤولية تنظيمها تفكير داود باشا الذي رأى أنَ تنظيمها لا يتم- ولأسباب ذكرت آنفاً- إلا على يد ضباط فرنسيين، ولهذا عقد اجتماعا مع القنصل الفرنسي المسيو أوتري (Outrey) في ٩ حزيران ١٨٦٢ تناول الوضع في متصرفية جبل لبنان، وجهوده في تنظيم القوة المسلحة التي شكلها، ورأى أنَ تنظيمها وتدريبها لا يتم إلا عن طريق بعثة عسكرية فرنسية تتولى الأشراف عليها، ولهذا طلب من أوتري التدخل لدى حكومته لأقناعها في تكليف ضابط أو ضابطين لتدريبها والأشراف عليها، واستحسن القنصل الفرنسي ذلك ورأى أنَ المتصرف فعلاً بحاجة الى قوة مسلحة ومدربة وفق النظم العسكرية الفرنسية، وأنَه لا يمكن تحقيق المهمة تلك إلا بمساعدة ضباط فرنسيين معروفين بانضباطهم العسكري؛ لأنَ تكليف أولئك لتدريب القوة اللبنانية ستكون بمثابة دعم فرنسي واضح الى داود باشا، ورأى أن وجود بعثة عسكرية فرنسية ستبعد النفوذ البريطاني وترسخ مكانة فرنسا في جبل لبنان فضلاً عن كونها قوة داعمة لداود باشا، ولهذا طلب في شهر آب ١٨٦٢من وزير الخارجية الفرنسي المسيو توفنيل[١٦](Thuvenel) الاستجابة لطلب داود باشا وتكليف أحد الضباط الفرنسيين للقيام

بالمهمة تلك وعدَ ذلك مكسباً لفرنسا وسابقة مهمة جداً على أنَّه اشترط أنْ يكون المكلف ملماً باللغة العربية، وأوضح أوتري أن عمل الضابط الفرنسي اقتصرت على تدريب القوة اللبنانية وتنظيمها دون قيادتها، [١٧].

وعندما لم ترد وزارة الخارجية الفرنسية على طلب قنصلها في بيروت، أرسل داود باشا رسالة الى وزير الخارجية الفرنسي مباشرة، وطلب فيها إرسال بعثة عسكرية فرنسية لتدريب القوة اللبنانية إلا أنَّ الوزير تريث في إجابة طلب المتصرف حتى يستعلم من سفيره في الأستانة وقنصله في بيروت معلومات واسعة عن المهمة التي أوكلت الى البعثة العسكرية تلك ومدى نجاحها ومدتها والنتائج التي تحققها وشروط العقد الذي يتم توقيعه بين المتصرف وأعضاء البعثة، ورد القنصل على أسئلة الوزير برسالة كشف فيها الاوضاع الصعبة التي عاشها المتصرف ورغبته في تشكيل قوة مسلحة ومنظمة، وأكد القنصل أنَّ داود باشا لا يستطيع ذلك إلا بمساعدة فرنسا وأنَّ المتصرف ألحَ عليه ولمرات عدة في إرسال مدربين فرنسيين، ورأى أنه إذا ما أراد تشكيل القوة تلك فلن يستطيع إلا بمساعدة ضباط فرنسيين، وعدَ القنصل أن تنفيذ طلب داود باشا سيكون بمثابة خدمة تقدمها فرنسا اليه[١٨] .

وافقت وزارة الخارجية الفرنسية على إرسال البعثة وطلبت من وزارة الحربية تكليف ضابطاً مجرباً ذو كفاءة عالية مع عسكريين اثنين من المراتب ليكونوا بخدمة وزارة الخارجية لغرض إرسالهم الى متصرفية جبل لبنان كبعثة عسكرية لتدريب الضابطية اللبنانية، واشترطت وزارة الخارجية أنْ يكون أعضاء البعثة ذو سمعة وسلوك حسن وتتوفر فيهم الشروط الضرورية لإنجاح تلك المهمة، واختير الكابتن ليون فان (Leon fain) أحد ضباط جوقة الشرف الفرنسي رئيساً لتلك البعثة، وجاء ذلك الاختيار لأسباب أهمهما المام الكابتن فان باللغة العربية وعدم مشاركته في الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا عام ١٨٦٠[١٩] ، وضمت البعثة فضلاً عن الكابتن (فان)، الرقيب – العريف– توركيه (Turguet) من الكتيبة ١٣ القناصة الراجلة والرقيب التاب (Althabe) من فوج الرماة الاول كمساعدين له[٢٠]، وسمح (لفان) اختيار مساعديه بنفسه، ولم يشترك عضوي البعثة العسكرية في الحملة الفرنسية على سوريا أيضاً، وتلك صفة اختارتها الحكومة الفرنسية لعدم إثارة العثمانيين بشكل عام واللبنانيين من غير المسيحيين بشكل خاص[٢١] .

ترك داود باشا شروط العقد الى وزير الحربية الفرنسية الماريشال راندون (Randun) بعد أن وافق عليها مسبقاً ولكنه حدد النفقات التي رصدها على تدريب القوة بمبلغ تراوح بين ٨ الى ١٢ ألف فرنك فرنسي وهو ما سمحت له ميزانية جبل لبنان، وتضمنت شروط العقد تخصيص

راتباً شهرياً الى الكابتن (فان)، وحددت وزارة الخارجية مقدار الراتب بألفي فرنك فضلا عن مصاريف الإقامة التي حددت حسب الشهر الواحد على أنْ يتكفل (فان) تهيأة غذائه بشكل شخصي ويأخذ على عاتقه مصاريف مكتبه وتعهدت حكومة المتصرفية تجهيزه بما يحتاج من خيول إذا اقتضت الضرورة الى ذلك فضلاً عن تجهيز المواد الغذائية، أما مساعدي الكابتن (فان) فقد حدد راتبهما بمائة وخمسين فرنك شهرياً لكل واحد منهم يضاف لها ٢٥٠ فرنك شهريا كمصاريف اقامة ليكون مجموع ما يستلمه الواحد منهما ٤٠٠ فرنك شهرياً، واشترطت وزارة الخارجية على المساعدين أنْ يأخذا على نفسيهما تجهيز الغذاء وتدبير مستلزمات حياتهما اليومية وخصص أحد أبنية حكومة المتصرفية كمقر لإقامة أعضاء البعثة العسكرية، وكان ذلك لفائدة حكومة المتصرفية أكثر من فائدة فرنسا؛ لأنها جعلت من أعضاء البعثة العسكرية تحت سلطة المتصرفية، وفتح لهم حساباً مالياً في أحد المصارف الفرنسية وتكفلت حكومة جبل لبنان تكاليف سفرهم من مرسيليا الى بيروت واشترط المسيو توفنيل أنْ يتم توقيع العقد بين داود باشا والكابتن)فان) بحضور القنصل الفرنسي، ورأى أنَه في حالة التوقيع يوضع العقد موضع التنفيذ وتباشر البعثة في عملها، واشترطت وزارة الخارجية أنْ تكون مدة العقد سنة واحدة تنتهي بنهاية مدة حكم داود باشا في ٩ حزيران عام ١٨٦٤ على أنْ تمدد عند الضرورة وأنْ تكون مهمتهم مهمة عسكرية بحتة ويكرسوا وقتهم للقيام بتلك المهمة[٢٢].

وقبيل سفرها الى جبل لبنان، قابل أعضاء البعثة العسكرية الإمبراطور نابليون الثالث(Napoleon111) الذي أظهر سعادته لمهمة البعثة، وتمنى لها النجاح في تنظيم قوة عسكرية لبنانية تأخذ على عاتقها حماية أمن جبل لبنان ويكون شعارها الاخلاص للبنان، وأشار أنَ مهمة القوة تلك ليس مهمة وقتية أو محدودة في فرض الأمن الداخلي؛ وأنما لدعم أجيال لبنان في المستقبل[٢٣] .

غادر أعضاء البعثة العسكرية الفرنسية مرسيليا في ٢٨ شباط عام ١٨٦٣ على متن باخرة فرنسية، وفي ٧ آذار وصلوا الى بيروت، وفي اليوم نفسه زاروا القنصل الفرنسي هناك، وعقدوا اجتماعاً معه تناول مهمة البعثة والوسائل التي تتبعها لإنجاز مهمتها، ورأى الكابتن (فان) أن الحاجة ضرورية الى تدريب ١٠٨٠٠ لبناني لتكون قوة نظامية إلا أنَ القنصل أكد أنَ داود باشا لا يرغب إلا في تشكيل قوة مسلحة يستخدمها كحرس شخصي تتكون من ٢٠٠-٣٠٠ شخص، ورأى أنَ طلب داود من فرنسا كان طلباً شخصياً ليس أكثر من ذلك[٢٤] .

ما أنْ سمع داود باشا بوصول البعثة العسكرية الفرنسية الى بيروت حتى أرسل الأمير سعيد شهاب[٢٥] الى هناك لاستقبالها ومرافقتها الى مركز المتصرفية في بيت الدين[٢٦]، وفي صباح

يوم ٨ آذار غادرت البعثة بيروت الى بيت الدين ، وعلى الرغم من الوقت الذي كان يستغرقه السفر بين المدينتين لا يتعدى الساعتين إلا أنَّ البعثة تأخر وصولها حتى مساء اليوم نفسه، ويعود السبب في ذلك الى كثرة المستقبلين لأعضاء البعثة وحفاوة الاستقبال، وفي بيت الدين استقبل داود باشا البعثة بحفاوة كبيرة وأثنى عليها وأظهر إعجابه بالأفكار العسكرية الفرنسية، ورأى أن مستقبل جبل لبنان وقوته يعتمد على جهود أعضاء البعثة[٢٧] .

وقد سلَم الكابتن (فان) المتصرف رسالة من وزير الخارجية المسيو دارون دي لهويس[٢٨] Darouyn De Lhuys أكد فيها على أهمية عمل البعثة في جبل لبنان بالنسبة للبنانيين وفرنسا وأنَّ الامبراطور ينتظر بصبر اليوم الذي يرى فيه اللبنانيين منتظمين في قوة مسلحة تصبح في يوم ما الطريق الحقيقي لاستقلال لبنان ومما جاء في الرسالة ((**سيكون الامبراطور سعيداً بأن تكون نتيجة مهمة السيد فان في لبنان تنظيم قوة وطنية يتعاون فيها الانضباط مع التضحية لا لضمان الاستقرار الداخلي للبلاد فحسب بل كذلك لحفظ الامتيازات المتوارثة جيلاً بعد جيل**)) [٢٩] ، ويبدو من خلال رسالة وزير الخارجية أنَّ فرنسا خرجت عن التقاليد الدبلوماسية وتصرفت وكأن جبل لبنان دولة قائمة بحد ذاتها خضعت لعملية احتلال دولة أخرى وأنَّ مهمة بعثتها العسكرية هو لتدريب ما يمكن تدريبه حتى تتمكن القوة المدربة تلك من ترسيخ الأمن والنظام لا بشكل محلي يكون فيه جبل لبنان خاضعاً للباب العالي كما أراد المتصرف؛ وأنما بشكل مستقل عن أي أثر للحكومة العثمانية، كما أنَّ تأكيد وزير الخارجية على الامتيازات المتوارثة تأكيد على اهتمام فرنسا بجبل لبنان باعتباره يمثل الطريق الحقيقي للنفوذ الفرنسي في بلاد الشام.

على الرغم من اهتمام داود باشا بالبعثة الفرنسية إلا أنَّ الكابتن (فان) لاحظ من خلال حديثه مع المتصرف أنَّ الأخير – أي داود باشا – كان قلقاً؛ لاسيما فيما تعلق ببعض العناوين التي ذكرها فان واحتوتها مراسلات بعض المسؤولين الفرنسيين في بيروت مثل((**القوة الوطنية**)) وقارنها مع المسميات الموجودة في سوريا مثل **(رجال البوليس)** أو **(الشرطة الوطنية)**، وتجنب المتصرف في حديثه استخدام كلمة الجنود أو الفرقة العسكرية؛ لأنَّه رأى أنَّ المطلوب منه تشكيل قوة محلية مهمتها المحافظة على الأمن والنظام في متصرفية جبل لبنان ولم يسمح له تشكيل قوة عسكرية مهمتها الدفاع عن المتصرفية والمحافظة على امتيازاتها، ولهذا أدرك (فان) أنَّ عمله انحصر في تدريب الضابطية فقط والتي تعني ((**رجال البوليس**))، ورأى أنَّ داود باشا خشى من أنَّ تسمية القوة التي رغب في تشكيلها بالقوة المسلحة تثير غضب الدولة العثمانية التي لا تقبل تشكيل أي قوة مسلحة لا تخضع لوزارتي الحربية والداخلية العثمانية، وفهم من خلال اللقاء أن المتصرف حصر عمله في تشكيل قوة مسلحة كالقوة العثمانية التي خصصت لحماية طريق

بيروت–دمشق، ورأى أنَّ داود باشا لا ينوي سحب القوات العثمانية المتمركزة في الطرق المهمة كطريق بيروت – دمشق أو طرابلس– بيروت – صيدا، وعلى الرغم من موقف المتصرف سواء مما جاء في رسالة وزير الخارجية الفرنسية أم ما صدر من الكابتن (فان) إلا أنَّه طلب من الأخير الإسراع في تنظيم الضابطية بأي وسيلة كانت لاسيما أنَّه كان ينوي الاحتفال بالعيد الوطني العثماني الذي تخلله استعراض تنفذه الضابطية اللبنانية وإطلاق العيارات النارية فيه [٣٠]،

وكانت ظنون الكابتن (فان) في محلها، فقد اقترح داود باشا تشكيل حرس شخصي يتكون من ٢٠٠ الى ٣٠٠ شخص فقط، واتخذ لها اسماً (الضابطية اللبنانية) وقدم له قائمة أسماء تكونت من٦٠ خيال و٧٠ من المشاة والذين تطوعوا في الضابطية قبل وصول البعثة الفرنسية تحت قيادة الضابط البريطاني ماسون، وكانت مهمة القوة تلك حماية مقر المتصرفية في بيت الدين[٣١]، وعلى الرغم من عدم قناعة الكابتن (فان) إلا أنَّه وافق على تنظيم الضابطية اللبنانية بغض النظر عن دواعي تنظيمها، وتعهد المتصرف بتخصيص مليوني قرش لتنظيم قوة الضابطية اللبنانية، ورأى (فان) أنَّ المبلغ يكفي لصرف رواتب الجنود وتجهيزيهم وتدريبهم[٣٢] .

من جانب آخر، أثار وصول البعثة العسكرية الفرنسية الى جبل لبنان انقساماً في المواقف سواء على المستوى الدولي أو الداخلي، فعلى المستوى الدولي أبدى العثمانيون والبريطانيون عدم ارتياحهم للبعثة، ونظروا على أنَّها وسيلة من وسائل ترسيخ النفوذ الفرنسي في جبل لبنان، أما على المستوى الداخلي، فقد انقسمت آراء اللبنانيين على قسمين فالمسلمون ومنهم الدروز عارضوا وصول البعثة، أما المسيحيون؛ لاسيما الموارنة فقد رحبوا بها؛ لأنَّها أعادت الثقة لديهم وللبنانيين المسيحيين الآخرين[٣٣] .

الأسلحة والتجهيزات

لم تتخذ الضابطية لباساً رسمياً في بداية تشكيلها، أما الضابطان البريطاني والعثماني فقد اتخذا البزة العسكرية العثمانية لباساً لهما، وبعد وصول البعثة الفرنسية واستلام مهمتها حدث خلاف بين المتصرف والكابتن (فان(على شكل لباس أعضاء البعثة، فبينما أراد المتصرف أنْ يكون لباسهم البزة العثمانية، أصر (فان) على احتفاظهم بالبزة العسكرية الفرنسية؛ لأنها تمثل الحكومة الفرنسية أولاً ولأنَّها وجدت تعاطفاً كثيراً من الموارنة ثانياً، وأمام إصرار (فان) وافق المتصرف على احتفاظ أعضاء البعثة بملابسهم العسكرية الفرنسية، أما المتدربون فقد عارض المتصرف اتخاذ أولئك لباس الجنود العثمانيين حتى لا يثير وزارتي الداخلية والحربية العثمانية أولاً وعدم تذمر المسيحيين لكرههم للجيش العثماني ثانياً، ورأى داود باشا أنَّ الزي الرسمي للضابطية يجب أنْ يقتصر على استخدام علامة مميزة تكفي لتمييز الرتب العسكرية وتحمل على

كتف كل ضابطي حتى لا يثير استخدامها حفيظة الدولة العثمانية فضلاً عن ذلك كان للوضع الاقتصادي أثر في الأخذ بالعلامة تلك بدلاً من الرتب العسكرية، ولهذا اتخذ المتصرف لباساً للضابطية توافق مع اللباس الوطني للبنانيين وهو يشبه اللباس العربي المستخدم في بلاد الشام مبتعداً في ذلك عن الزي العسكري العثماني، ولم يستحسن الكابتن (فان) ذلك وأكد أنَّ الأخذ بالزي العسكري الرسمي يحافظ على روحية الضابطية فضلاً عن أنَّ استخدام البوق والناقور تساعد على نفسية أولئك وتزيد من حماسهم وتنمي فيهم الروح العسكرية[٣٤]، وجاءت معارضة داود باشا على عدم ارتداء المتطوعين الملابس العسكرية أو حمل السلاح وسحب البنادق منهم وتسليمهم سيوفاً فقط حتى يبقى جبل لبنان منزوع السلاح، وقد انتقد الكابتن (فان) آراء المتصرف وطبيعة شخصيته المتغيرة، ورأى صعوبة تأسيس مؤسسة عسكرية لبنانية وفق ما يراه المتصرف[٣٥]، ولتقريب وجهات النظر بين الطرفين، أُختيرت بزة تشبه الى حد ما بزة الجيش المصري على أنَّها اختلفت معها في الاشارات التي وضعت عليها، وهو ما كان يرغب فيه اللبنانيون، وقد نجح الكابتن (فان) في الحصول على المستلزمات الضرورية لصنع الملابس والأحذية والتجهيزات الأخرى، وخفض النفقات الى النصف، وكان لعمل (فان) هذا أنْ وفر أموالاً أعاد قسماً منها الى خزينة المتصرفية[٣٦] .

أنشأ داود باشا مستودعاً للأسلحة والملابس ووضعه تحت إدارة المسيو داكارير (Darricarere) وهو نائب ضابط متقاعد خدم في الجيش الفرنسي وساعده لبنانين اثنين برتبتي ضابط صف، وجاء تعيين داكارير بتوصية من القنصل الفرنسي في بيروت، وضم المستودع ٤٠٠ بندقية قصيرة من نوع كارابين (Carabeen) فرنسية الصنع و ٥٠٠ بندقية قصيرة من النوع نفسه لكنها بلجيكية الصنع و ٢٠٠ بزة عسكرية، وقد زار الكابتن (فان) بصحبة المتصرف المستودع وحضرا توزيع السلاح والملابس الرسمية، ورأى (فان) أنَّ البنادق الموجودة في المخزن كافية لتجهيز الأشخاص المكلفين بالخدمة، ولاحظ قلة ملابس المتدربين فضلاً عن اختلاف أحجامها وعدم الاهتمام بتصميمها، ورأى ضرورة تأمين خزانة لكل ضابطي يضع فيها ملابسه الرسمية[٣٧] .

وبسبب نقص الأموال، رأى داود باشا ضرورة أنْ يسلَم رجال الضابطية المتسرحين بزاتهم الى المخزن لارتدائه من قبل المتطوعين الآخرين، وقد اعترض (فان) على الأجراء ذلك؛ بسبب اختلاف طول المتطوعين من شخص لآخر، وردَ المتصرف أنَّه لا يملك المال الكافي لشراء الملابس، وأشار (فان) الى أنَّ المتصرف في موقف مالي لا يحسد عليه، ففي الوقت الذي

طالبته السلطة العثمانية بتشكيل قوة تساعده على تحصيل الضرائب، عارضت فرنسا استخدام القوة ضد الموارنة الذين رفضوا دفع الضرائب المفروضة عليهم[٣٨] .

سلحت الضابطية اللبنانية ببنادق فرنسية الصنع فضلا عن سيف لكل جندي مع غمده، وقد تدرب جنود الضابطية على تلك البنادق واتقنوا الرمي وإصابة الهدف، أما سلاح الخيالة فكانت بنادق بلجيكية الصنع وسيف مقوس محلي الصنع، وقد طبقّ الكابتن (فان) وسائل التدريب والضبط الموجودة في الجيش الفرنسي في تدريب الضابطية اللبنانية إلا أنَّه لم تكن هناك عقوبات جسدية؛ وذلك مراعاة للتقاليد اللبنانية، وأظهر الضبط العسكري للضابطية نموذجاً في الطاعة وتنفيذ الاوامر، فقد نفذ الجنود واجباتهم بكل ذوق واحساس بالكبرياء من خلال ظهورهم منظمين على غرار اسلوب الجيش الفرنسي فأعطوا برهاناً على الروحية التي امتازوا بها، ولهذا رأى (فان) أنه حصل على نتائج جيدة بأقل النفقات المالية والقليل من الجهود، وأكد أنَّ روح التعاون والعمل أدى الى تكوين قوة متماسكة، وعدّ ذلك بداية لأنْ تأخذ الضابطية اللبنانية مكانها في حفظ الأمن والنظام في المتصرفية بدلاً من القوات غير النظامية التي استخدمها حكام جبل لبنان منذ عهد الأمارة المعنية[٣٩] وحتى إعلان المتصرفية، إذ كان ينقصها التدريب والتنظيم وبالتالي أصبحت سلبية في عملها[٤٠].

طلب داود باشا من الكابتن (فان) أنْ يتم تبديل بنادق الضابطية تحت اشراف (فان) نفسه، وأمر أنْ يسلح الضابطية جميعهم، وحصل الخيالة على بنادق بلجيكية الصنع، أما الآخرون فقد حصل قسم منهم على بنادق صيد فرنسية والقسم الآخر على سيوف فقط، وكان المتصرف قد استورد اسلحة قبل وصول (فان) إلا أنْ البنادق التي استوردها لم تكن ذات أهمية لدى اللبنانيين لا لعدم فاعليتها؛ وأنما لأنَّ الضابطية غير مدربين عليها وافتقدوا الى العدة الضرورية التي تساعد على اصلاحها ولم يتعلموا التصويب على الهدف[٤١] .

أنشأ الكابتن (فان) ورشة لخياطة الملابس وصناعة الأحذية وتصليح الأسلحة في بيت الدين، وعيَن الفقراء والايتام للعمل هناك؛ وذلك من أجل الحصول على البضاعة بسعر أقل كلفة من البضائع التي استوردت من أوربا، وعلى الرغم من تصنيعها محلياً إلا أنَّه حصل على نماذج جيدة من الملابس واللوازم التي استلزم توفيرها لرجال الضابطية خلال المدة المقررة لهم للخدمة في الضابطية والتي بلغت سنة واحدة[٤٢] .

طلب المتصرف في ٢٣ تشرين الثاني ١٨٦٥من القنصل الفرنسي في بيروت الاتصال بأحد مصانع الأسلحة الفرنسية على شراء ٥٠٠ بندقية قصيرة نوع موسغوتون Mousgueton لتزويد الضابطية و٥٠٠ سيف والف مسدس لضابطية الأقضية اللبنانية، وطلب القنصل من

المسيو موستيه Moustie أحد اصحاب مصانع الأسلحة هناك إرسال نماذج لنسخ من أنواع الأسلحة التي توقف عن استخدامها الجيش الفرنسي وإرسالها الى بيروت[٤٣]، وقد وصلت نماذج الأسلحة تلك الى جبل لبنان وعرضت على داود باشا الذي قرر شراء ما يكفي منها لسد حاجة الضابطية، وقد أنجزت الشركة التي كلفت بصنعها بأسرع وقت ووصلت الى بيت الدين ووزعت على أفراد الضابطية، ولم يقتصر الاستيراد على الأسلحة؛ وأنما استوردت الملابس الرسمية للضابطية أيضاً[٤٤] .

وعلى الرغم من تجهيز الضابطية اللبنانية ببنادق فرنسية وبلجيكية إلا أنَّ الكابتن (فان) انتقد ذلك، ورأى أنَّ وضع تلك البنادق في أيدي الضابطية غير ضروري؛ لأنَّ ضباطهم لا يملكون معرفة تامة بها فكيف حال ضباط الصف والجنود فضلاً عن قلة المعدات الضرورية لتصليحها إذا ما تعطلت وجهلهم بصناعة ذخيرتها وعدم وجود كراسات التدريب والرمي على الاهداف، ورأى أنَّ على المتصرف شراء الكراسات الخاصة بالتدريب من فرنسا وترجمتها الى اللغة العربية حتى يتمكن الضباط اللبنانيين من التدريب عليها[٤٥] .

التدريب والتنظيم

وعلى الرغم من اهتمام المتصرف بتنظيم الضابطية اللبنانية إلا أنه لم يكلف الكابتن (فان) بالمهمة التي أوكلت له وانتظر لعدة أسابيع ، وخلال تلك المدة سافر داود الى بيروت وعند رجوعه الى بيت الدين زاره (فان) وفاتحه في الأمر فأكد المتصرف أنَّه لا يملك الأموال اللازمة لتخصيصها كرواتب للمتطوعين الذين يختارهم للعمل في الضابطية إلا أنَّه وعد (فان) ببذل الجهود في تشكيل ضابطية لبنانية تتكون من ٣٠٠ ضابطي وزيادة عددهم عند إعادة تعيينه مرة أخرى، ولكن الحقيقة أنَّ المتصرف لم يضع تحت تصرف (فان) إلا ١٣٠ ضابطي منهم ٧٠ مشاة و٦٠ خيال وكان أولئك أصلاً خضعوا للتدريب تحت قيادة الضابط البريطاني ماسون[٤٦] .

وعلى أية حال بدأ الكابتن (فان) مهمته بما توفر له من متطوعين إلا أنَّه فوجئ أنَّ التنظيم المعمول به سابقاً اعتمد على وضع متطوع درزي مع مجموعة من المتطوعين المسيحيين، وكان الهدف منه القضاء على الصراع الطائفي بين الدروز والموارنة وإنهاء حالة الكراهية بين الطائفتين وتقريب وجهات النظر بين طوائف الجبل وخلق نوع من الانسجام بين المتطوعين والحد من تمرد الدروز الذين تميزوا عن غيرهم بالخشونة وعدم تنفيذ الأوامر، ولكن الكابتن (فان) رأى أنَّ ذلك يؤدي الى الكراهية بين المتطوعين لا الى الانسجام بينهم؛ لأنَّ تنظيمهم جاء بالإكراه وليس بالاختيار، ومن أجل القضاء على تلك المشكلة أعاد (فان) تنظيم المتدربين حسب الطول وفقاً لنظام التدريب الفرنسي[٤٧].

وبما أنَّ المادة ١٥ من بروتوكول عام ١٨٦١ لم تشر الى طريقة تنظيم الضابطية اللبنانية، فقد أخذ المتصرف بنظام التطوع الاختياري، ولكن الكابتن فان رأى ضرورة أنْ تكون الى جانب قوة الضابطية التي تقوم على أساس التجنيد الاختياري قوة مسلحة تقوم على أساس التجنيد الإجباري؛ لأنَّه يكفل تكوين قوة مسلحة تبلغ أكثر من ألفي جندي لاسيما أنَّ هناك زيادة سنوية في عدد سكان متصرفية جبل لبنان، وأكد (فان) في رسالة الى وزير الخارجية الفرنسي امكانية تطبيق التجنيد الاجباري وفق آلية اقترحها (فان) نفسه وتقوم على تحديد عدد الذكور اللبنانيين ومن ثم تحديد نسبة ٥٠%منهم لتجنيدهم لمدة سنة واحدة، وأكد أنَّه من خلال التطوع الاختياري والاجباري وفق الآلية تلك تستطيع المتصرفية من تشكيل قوة مسلحة لا تقل عن عشرة آلاف شخص متقنين التدريب على السلاح خلال عشرة أعوام، وأكد أنَّ للتجنيد الاجباري عدة فوائد منها تقليص النفقات المالية؛ لأن نفقات الجنود المكلفين بالخدمة الإجبارية أقل بكثير من نفقات المتطوعين فضلاً عن أنَّه يؤدي الى اختلاط المكلفين بالخدمة الإجبارية مع المتطوعين الذين يكونون أكثر تدريباً من الآخرين[٤٨] .

وأكد الكابتن (فان) أنَّه إذا تمكنت البعثة العسكرية من تدريب ومن ثم تسريح الف متدرب سنوياً فقد يصبح لمتصرفية جبل لبنان بعد عشر سنوات عشرة آلاف رجل مدربين ومتقنين الفنون العسكرية، وأوضح (فان) أنَّ تحقيق ذلك لا يتم إلا عن طريق خضوع اللبنانيين جميعهم للتجنيد الاجباري، وسيكون ذلك نواة لجيش لبناني يكون على استعداد لأخذ زمام الأمور فيما إذا سمحت الظروف لاستقلال لبنان وانفصاله عن الدولة العثمانية[٤٩].

أخذت فرنسا بتوجيهات الكابتن (فان) وفاتح القائم بأعمال السفارة الفرنسية في الأستانة المسيو دي بونيير De Bounier الحكومة العثمانية التي رفضت ذلك، وجاء رفض الباب العالي للتجنيد الاجباري؛ لأنَّه رأى أنَ الضابطية مهمتها حفظ الأمن الداخلي وتنفيذ القوانين، ولهذا يجب أن تتشكل على أساس الاختيار وفق شروط تؤهل المتطوعين على الخدمة فيها، وأشارت الى أنَّ التجنيد الإجباري يؤدي الى تشكيل قوة لا تتوفر في أفرادها شروط من يعهد اليه تنفيذ القوانين التي يصدرها المتصرف[٥٠] .

وما أنْ جددت متصرفيته داود باشا عام ١٨٦٤ لمدة أربع سنوات، حتى فتح الأخير باب التطوع، واستبشر اللبنانيون لذلك وقدم عدد منهم طلبات الى حكومة المتصرفية للتطوع في الضابطية، وأظهر المتصرف سروره لأقبال اللبنانيين على التطوع وكلف أعضاء البعثة العسكرية الفرنسية استقبال المتطوعين، وأهدى للعريف التاب خاتمه الشخصي نظرا للخدمة التي قدمها في

تنظيم الضابطية[٥١]، وقرر داود باشا ضم ضابطية القائمقاميات غير النظامية الى ضابطية المتصرفية إلا أنَّه منعهم من حمل السلاح وارتدائهم البزة العسكرية[٥٢] .

وعلى الرغم من اهتمام المتصرف بتنظيم الضابطية إلا أنَّ (فان) لم يستطع تدريب أكثر من ٣٠٠ متطوع بوقت واحد مكاناً وزماناً منذ وصوله الى جبل لبنان وحتى أوائل عام ١٨٦٥، وأدى ذلك الى قلق القنصل الفرنسي والكابتن (فان) الذي رأى أنَّ المتصرفية لو وفرت المبالغ اللازمة لاستطاعت من تشكيل قوة نظامية قادرة على تنفيذ واجباتها بكل سهولة، وأكد أنَّ اللبنانيين لا يملكون فكرة عن الواجب أو أي إحساس بالمسؤولية والتنظيم ورأى أنَّ اللبناني لا يهتم إلا بنفسه ولا يخضع للقانون إلا ما يتفق مع رغباته الشخصية [٥٣]، وفي حزيران عام ١٨٦٥ أمر المتصرف الإسراع في تنظيم الضابطية حتى تصل الى ١٥٠٠ شخص في الوقت الذي كان عددها لا يتجاوز ٢٠٠ فقط، ورأى القنصل الفرنسي أنَّ داود رغب في تطويع العدد ذلك حتى يتمكن من ترسيخ الأمن والقضاء على حركات التمرد ودفع الضرائب[٥٤] .

أكد المتصرف أنَّه لا يمكن لأي حكومة أنْ تحفظ الأمن والنظام بدون استخدام وسائل القوة والعنف، ورأى أنَّ قوانين المتصرفية لا تسمح بذلك وبالتالي لا يمكن تشكيل قوة قائمة على أسس صحيحة، ولهذا دعا في نيسان عام ١٨٦٥ الى تشكيل قوة تتألف من عناصر مسيحية يوضعون تحت قيادته، وجاءت فكرة داود من أنَّه لا يستطيع إخضاع اللبنانيين المسيحيين بقوة محلية ومختلطة طائفياً وأنَّما بقوة مسيحية أجنبية قادرة على تنفيذ أوامره دون أنْ تخلق له مشاكل طائفية، ورأى داود باشا أنَّ اللبنانيين لا يصلحون إلا رجال شرطة محلية وأنَّه بحاجة الى قوة نظامية مسلحة ومدربة تدريباً عسكرياً، وأكد أنَّ القوة تلك لا يمكن تشكيلها من اللبنانيين؛ وأنما من المرتزقة المسيحيين الأجانب كالسويسريين والألبان، ورأى أنَّ اختيار أولئك يؤدي الى تنفيذهم للأوامر التي تصدر اليهم دون النظر الى النتائج التي تترتب عليها الأوامر تلك على العكس من الضابطية اللبنانية التي أدت فيه النزعات الطائفية دوراً في عدم تنفيذ الأوامر التي صدرت اليهم ؛ وأكد أن استخدام العنف وإطلاق النار من قبل جنود المرتزقة لا يثير الأوربيين أو مسيحيي جبل لبنان [٥٥] .

واجهت داود باشا صعوبات كثيرة في تنظيم الضابطية لعل أبرزها عدم وجود الأموال لتغطية نفقات التدريب والتجهيز، ورأى أنَّ السبيل الى تحقيق أهدافه هي منحه صلاحيات كافية من الحكومة العثمانية لتنفيذ جمع الضرائب التي ترتبت على الأهالي الذين رفضوا دفعها الى حكومة المتصرفية لعدم وجود قوة تجبرهم على ذلك، وأكد المتصرف أنَّ الموارنة بشكل خاص امتنعوا عن دفع الضرائب وشجع ذلك بقية الطوائف اللبنانية، ورأى أنَّ المشكلة تكمن في أنَّ

العثمانيين لم يرغبوا في تشكيل قوة مسلحة في جبل لبنان تفرض الأمن هناك وترغم اللبنانيين على دفع الضرائب، وأنَّ الفرنسيين لم يستخدموا نفوذهم لدى المسيحيين لدفع الضرائب للمتصرفية وفي الوقت نفسه لا يريدون إرغامهم على دفعها بالقوة[٥٦]، ولهذا ألغى داود باشا بعض المقبولين في الضابطية وأضاف أسماء بدلاً عنها، وأدى ذلك الى فشله في تكوين ضابطية بواسطة التطوع الاختياري[٥٧] .

منحت المتصرفية كل ضابطي مشاة ٨ بياستير[٥٨]، والخيال ١٤ بياستير بضمنها غذاء واحتياجات حصانه، وعلى الرغم من اعتراض البطريك الماروني وشيخ عقل الدروز اللذان رأوا أنَّ الراتب كبير جداً إلا أنَّ المتصرف رفع رواتب الضابطية أكثر من ذلك ليسهم في إضعاف الجنود غير النظاميين[٥٩] .

تشكلت الضابطية من مجموعتين من المشاة ومجموعة واحدة من الخيالة المدربين وفق النظم العسكرية الفرنسية، واتخذت من بيت الدين مقراً لها، واقترح الكابتن (فان) الرتب العسكرية، وعيّن المتصرف قائداً على الضابطية واختار الأمير قيس شهاب للمهمة تلك، واحتفظ (فان) ومساعديه برتبهم العسكرية الفرنسية[٦٠] .

أدخل الكابتن (فان) بالنظام العسكري الفرنسي في تدريب الضابطية اللبنانية واعتمد نظام الصفوف حسب طول المتدربين ورتبهم على صفين وضاعف خطوة المسير، ولم يعتمد على السب والشتم الذي كان مستخدماً في الجيش العثماني حينذاك، واستخدم الحركات الفرنسية في التدريب ولم يكن معروفاً ذلك في الجيش العثماني، ولهذا ميّز (فان) نفسه في تدريبه، واحتفظ باليد اليمنى على قبضة البندقية دون رفعها الى الرأس للتحية في حركة تقديم السلاح، وألغى تقبيل اليد الذي كان مستخدماً في تدريبات الجيش العثماني كصيغة من صيغ الاحترام خلال الخدمة؛ ورأى فان إنَّ قراره بإلغاء تقبيل اليد جاء للحفاظ على الهيبة العسكرية وكرامة البزة، وكان للطريقة تلك أثر في رفع معنويات الضابطية اللبنانية، وأخذ المتدربون يتعلمون بسرعة الطريقة الفرنسية والتعامل معها بكل ثقة، واتخذت اللغة العربية لغة التدريب بدلاً من اللغة التركية، وقد كان الضابط البريطاني الذي أوكلت له مهمة تدريب الضابطية قبل وصول البعثة الفرنسية الى جبل لبنان قد اتخذ اللغة التركية لغة للتدريب إلا أنَّه فشل في ذلك؛ لأنَّها لغة لا يفهمها أكثر اللبنانيين، وشجع (فان) اللبنانيين الراغبين للتطوع في الضابطية دخول المدارس لتعلم القراءة والكتابة والحساب[٦١].

جرى التدريب مرتين في اليوم واتسم بحماسة المتدربين وجعل يوم الأحد عطلة الضابطية فضلاً عن الاعياد المسيحية، ولم يميز الكابتن (فان) بين أفراد الضابطية سواء من ناحية الدين

أم العنصر مما كان له أثر في زيادة رغبة اللبنانيين للتطوع ومنح الحرية لغير المسيحيين بممارسة طقوسهم وتأدية شعائرهم الدينية [٦٢] .

أخذ الكابتن (فان) بالأنظمة والقوانين العسكرية الموجودة في الجيش الفرنسي فيما يتعلق بالمكافئات والعقوبات التأديبية، وكان لكل ضابطي ورقة عقوبات وحرص أفراد الضابطية على أنْ تظل الورقة تلك بيضاء وخالية من العقوبات، وعمل (فان) على إنهاء النزعات الدينية والطائفية بين أفراد الضابطية وسادت علاقة الود والاحترام بين منتسبيها وضعفت الروح الطائفية وحلت محلها الروح العسكرية، ورأى (فان) أنَ توحيد الملابس العسكرية واستخدام سلاح من نوع واحد له دور في تلاشي النزعات تلك، وتحدث (فان) كثيراً خلال التدريب عن شرف المهنة وتنمية الروح العسكرية وكانت المفردات تلك جديدة لم يألفها اللبنانيون، فأثارت إعجابهم وجذبتهم اليها ومارسوها في حياتهم اليومية، وقد نجح (فان) الى حد ما في إنهاء أو على الأقل إضعاف النزعات الطائفية بين أفراد الضابطية اللبنانية وتغلبت الروح العسكرية على الروح الطائفية[٦٣] .

لم يلاحظ الكابتن (فان) أن الشك الذي ساد حول الضابطية والحفاظ عليها نتج عن التأثير على الحماس، وكانت أهم النتائج التي حصلت هي تطور التزام الضابطية اللبنانية بالتعليمات التي صدرت لها، ولم يكن ما يميز ضابطية جبل لبنان عن ما يماثلها في دمشق وبيروت فقد ارتدت اللباس نفسه إلا أن ما ميز الضابطية اللبنانية أنها أكثر التزاما من الاخرين الذين لم يكونوا أحراراً في سلوكهم والتزامهم[٦٤] .

وصلت الضابطية اللبنانية الى درجة كبيرة من الضبط والالتزام للقيام بواجباتها حتى أنَ مجموعة من الضباط العثمانيين طلبوا من الكابتن (فان) حضور بعض التدريبات التي لا يعرفونها، وأظهرت الضابطية خلال زيارة ابن الامبراطور نابليون الى جبل لبنان انضباطاً كبيراً في مراسيم الاستقبال الذي أُعد له، وقد انتهز (فان) الفرصة تلك لكشف ما وصلت الية الضابطية من التدريب وطلب من القنصل الفرنسي والمتصرف الموافقة على تنظيم الضابطية اللبنانية مراسيم استقبال رسمي للأمير الفرنسي في مقر المتصرفية، وعلى الرغم من عدم تحبيذ الطرفين لذلك إلا أنَ (فان) استطاع اقناعهما، وما أنْ تم الحصول على ذلك حتى جمع (فان) الضابطية في بيت الدين ووزع البنادق والأعتدة عليهم ليلاً دون أنْ يعلمهم سبب ذلك، وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي بدأ فان في تدريب الضابطية على مراسيم الاستقبال حتى إذا ما جاء المساء ووصل الأمير الفرنسي الى بيت الدين بصحبة القنصل الفرنسي وداود باشا حتى بدأت الضابطية بمراسيم الاستقبال التي أعجب بها الضيف الفرنسي الذي أظهر اهتمامه بها وسأل عن المشاكل التي تواجهها، وتساءل فيما إذا تعرض المتطوعون الى العقوبات الجسدية

فأُجيب بالنفي مما كان له الأثر في نفس ذلك الأمير، وألقى المتصرف كلمة أثنى فيها على المساعدة الفرنسية في تنظيم الضابطية اللبنانية، وقد رأى الكابتن (فان) أنَّ اللبنانيين بإمكانهم تكوين جيش وطني يحافظ على استقلال لبنان ونظامه الداخلي[٦٥] .

وعلى الرغم من دور البعثة العسكرية الفرنسية في تنظيم الضابطية اللبنانية إلا أنَّ داود باشا لم يمنح تلك البعثة أي سلطة رسمية؛ لأنَّه رأى أنَّ ذلك يجعل من فان ومساعديه أكثر تأثيراً على الجنود اللبنانيين، وقد رأى الكابتن (فان) أنَّ سبب عدم منح المتصرف صلاحيات رسمية للبعثة الفرنسية هو أنَّ أحد الضباط العثمانيين نصح داود باشا باستبدال الضباط الفرنسيين بضباط عثمانيين، ولهذا أكد (فان) للمتصرف أنَّ الضباط الفرنسيين سيكون لهم دوراً كبيراً فيما إذا استمروا في عملهم ذلك لاسيما أنَّ المرحلة الاولى لتنظيم الضابطية التي أدارها أحد الضباط البريطانيين فشلت وأنَّ البعثة الفرنسية أثرت في اللبنانيين؛ لاسيما أبناء القسم الشمالي منهم ذات الأكثرية المارونية على الرغم من معارضة أولئك لداود باشا، وعلى الرغم من السلبيات تلك إلا أنَّ الضابطية أصبح لها حضوراً مهماً في جبل لبنان[٦٦] .

وبعد عودة داود باشا من الأستانة في نهاية عام ١٨٦٤ وتجديد مدة حكمه وتنفيذ مطالبه؛ لاسيما توفير الأموال اللازمة للإصلاحات في متصرفية جبل لبنان، باشر بتنظيم الضابطية، وطلب من القنصل الفرنسي في بيروت الاتصال بأحد مصانع السلاح في فرنسا فاتصل القنصل بمصنع مونسو Monceaux، وطلب إرسال نماذج من الأسلحة ليختار المتصرف ما يريده منها، وفتح باب التطوع للبنانيين وقدم ٤٥ شخصاً طلباتهم ووصل عدد الضابطية في شهر كانون الثاني عام ١٨٦٥ الى٢٦٩، وتوقع القنصل الفرنسي زيادة العدد فيما إذا استمر المتصرف في عمله وأكد أنَّ الكثير من الضابطية الذين تسرحوا بسبب عدم وفاء حكومة المتصرفية بتعهداتها وقلة الرواتب وعدم دفعها في بعض الشهور قدموا طلباً للتطوع مرة أخرى وتوقع زيادة عدد الضابطية الى العدد الذي يتناسب مع عدد سكان المتصرفية[٦٧] .

العلاقة بين المتصرف والبعثة العسكرية الفرنسية

على الرغم من أنَّ مهمة الكابتن (فان) حددت بتنظيم قوة محلية تأتمر بأوامر داود باشا وتهتم بحفظ الأمن الداخلي لمتصرفية جبل لبنان حتى تتحاشى تدخل القوات العثمانية في شؤون الجبل[٦٨]إلا أنَّ الخلافات ظهرت بين المتصرف والكابتن (فان) منذ الأسابيع الأولى لاستلام البعثة العسكرية الفرنسية مهمتها في جبل لبنان، فقد استنكر (فان) عدم السماح له بتدريب الضابطية على الرغم من انقضاء عدة أسابيع على وصوله الى جبل لبنان، واتهم المتصرف بإضعاف مهمته، وقد أدى ذلك الى توتر العلاقة بين الطرفين[٦٩].

وكان لتفسير المادة ١٥ من بروتوكول عام ١٨٦١ سبباً في الخلاف الذي ازداد بمرور الوقت بين المتصرف و(فان)، ونصت المادة تلك على تولى المتصرف قيادة الضابطية اللبنانية إلا أنَّ (فان) كان يطمح أنْ يتسلم قيادتها، ولهذا حاول المتصرف إرضائه بأنْ سمح له ارتداء البزة العسكرية الفرنسية على الرغم من أنَّ المتصرف أمر الضابط البريطاني الذي سبق (فان) ارتداء البزة العثمانية، كما أن نقل المتصرف مركز المتصرفية من دير القمر[٧٠] الى سبينة[٧١] فبحمدون[٧٢] قد أثار (فان) الذي رأى أن نقل المتصرف لمركز إدارته قد أضعف الموارنة لصالح الدروز[٧٣].

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الكابتن (فان) والمتصرف إلا أن الأخير أثنى على عمل البعثة العسكرية الفرنسية ورأى أنَّ (فان) كان عملياً في مهمته وأفضل من أي شخص أخر للقيام بالمهمة تلك، واعترف بالمصاعب التي تواجهها البعثة العسكرية لاسيما أنَّ الضابطية تكونت من عناصر غير مؤهلة للتنظيم والتدريب وفق النظام العسكري الفرنسي، فضلاً عن ذلك أكد داود باشا أنَّه لا يريد ترسيخ الأمن والنظام في جبل لبنان بواسطة القوات العثمانية؛ وأنما بتنظيم قوة من اللبنانيين تأخذ على نفسها القيام بالمهمة تلك، وتعهد بتنفيذ مطالب البعثة الفرنسية[٧٤] .

رأى الكابتن (فان) أنَّ المتصرف رغب أنْ تكون للمتصرفية قوة عسكرية تشبه الى حد ما الفرق العسكرية الفرنسية، وأكد داود باشا للكابتن (فان) أنَّه على استعداد لأنْ يطلب من الامبراطور نابليون ضابطاً آخر فيما إذا أُعيد تعيينه مرة اخرى متصرفاً على جبل لبنان، ورأى (فان) أنَّ وجود ضابطاً فرنسياً آخراً في صفوف الضابطية اللبنانية يعزز مكانة فرنسا بين اللبنانيين وستكون أكثر ثباتاً ويبعد الدسائس الموجودة بين افراد الضابطية لاسيما أنَّ قيادة (فان) بمفرده جعلته كثير الغيابات مما سبب ارتباكاً في التدريب والتنظيم، وأكد أنَّ الاستجابة لمطالب المتصرف جعلته أكثر تشبثاً للبقاء في منصبه مما كان له أثر ايجابي ليس على جبل لبنان؛ وأنما على فرنسا أيضاً، إلا أنَّ (فان) أخذ على المتصرف بعض الملاحظات السلبية ؛ لاسيما ما يخص عدم تطرقه الى جهود البعثة العسكرية خلال اجتماعاته المتكررة مع القنصل الفرنسي[٧٥].

انتقد الكابتن فان تخصيص المتصرف مبالغ من الأموال على مشاريع في المتصرفية دون تخصيصها للضابطية، وأشار الى أنَّه من الأفضل تخصيص الأموال تلك لتنظيم الضابطية اللبنانية، وأكد لو أنَّ مبلغ ٢٠٠ ألف فرنك الذي خصص لتعبيد طريق العربات الذي ربط بيت الدين بمصنع بورتاليس للحرير، خصص لتنظيم الضابطية لكانت الاستفادة منه أكثر؛ لأنه سيضمن ترسيخ الأمن في الجبل ويكفل جمع الضرائب بطريقة سهلة من الأهالي جميعهم

وسيعود على خزينة الجبل بالأموال الكافية لإقامة المشاريع في المتصرفية كطريق العربات أو غيرها من المشاريع، ورداً على انتقاد (فان)، أكد المتصرف أن المبلغ الذي خصص لإقامة طريق العربات لا يعود الى خزينة الجبل؛ وأنما من المساعدات التي قدمها أصحاب مصنع بورتاليس والمصانع المجاورة له(٧٦) .

رأى الكابتن (فان) أن داود باشا مسيحي شرقي مخلص لحكومته العثمانية ووهب نفسه لها وأنَّ توجهه للدول الأجنبية بعضها مرة وللحكومة العثمانية مرة أخرى، أنما للمناورة بين الأطراف تلك لتحقيق ما يمكن تحقيقه من تقوية حكومته، ولم تقتصر مناورة المتصرف على ذلك؛ وأنما ناور بين موظفيه الذين انتموا الى طوائف عدة، وأتهم (فان) المتصرف بالازدواجية في سياسته؛ لاسيما ما تعلق بتنظيم الضابطية، فمرة أصرَ على تنظيمها، وأخرى وضع العراقيل للحيلولة دون ذلك وتارة حاول تنظيم قوة مسلحة من المرتزقة الأجانب، وقد أدى ذلك الى ضعف العلاقة بين المتصرف والكابتن (فان) (٧٧) .

أراد داود باشا الاحتفاظ بالكابتن (فان) كرئيس للبعثة العسكرية الفرنسية في جبل لبنان، ولم يرغب في تعيين ضابطاً بدلاً عنه بل لم يرغب في تعيين ضابطاً ليساعد (فان) في مهمته على الرغم من الطلبات المتكررة للأخير –أي (فان)– الى حكومته لتعيين ضابط فرنسي يساعده في مهمته تلك، وعلى الرغم من رغبة (فان) تلك إلا أنَّه لم يلزم نفسه أو الضابط المقترح الالتزام بتوجيهات داود باشا الذي كان همه أنْ يرتبط أعضاء البعثة العسكرية بخدمته الشخصية وهو شرط اشترطه المتصرف على الضباط الذين يرغبون العمل في الضابطية اللبنانية، وعلى الرغم من عدم إلزام الكابتن (فان) نفسه بتوجيهات المتصرف إلا أنَّه اعترف أنَّ العمل معه أكثر ملائمة من العمل بشكل مستقل؛ لأنَّ الاستقلال في العمل يجلب المتاعب التي خلقها المتصرف لأعضاء البعثة العسكرية، وقد تطابقت وجهة نظر (فان) مع وجهة نظر القنصل العام في بيروت في ذلك(٧٨) .

اتهم الكابتن (فان) المتصرف بالازدواجية في تنظيمه للضابطية، ورأى أنَّ داود باشا حاول التقرب من الحكومة الفرنسية واستشارتها في تشكيل ضابطية تأخذ على عاتقها حفظ الأمن في جبل لبنان وتكون نواة لقوة مسلحة ومنظمة يعتمد عليها في حال انفصال جبل لبنان عن الدولة العثمانية، وفي المقابل حاول المتصرف أنْ لا يصل بالضابطية الى مستوى طموح الفرنسيين، وأقدم على تسريح عدد من المتطوعين بحجة عدم توفر الأموال، ورأى (فان) أنَّ حقيقة الأمر ليس بسبب الأموال وإنَّما حتى تُمنح لداود باشا الحجة لدعوة القوات العثمانية دخول جبل لبنان لحفظ الأمن هناك(٧٩) .

يبدو أنَّ الكابتن (فان) تجاوز مهمته العسكرية الى تعاطي الأمور السياسية والتدخل في شؤون المتصرفية، وذلك من خلال الزيارات التي قام بها الى مناطق جبل لبنان بل وزار دمشق وتمت الزيارات تلك بدون علم المتصرف والقنصل الفرنسي الذي عُدَ المسؤول الدبلوماسي الفرنسي الأول في بلاد الشام، وأثارت تصرفات (فان) المتصرف الذي رأى أنَّ رئيس البعثة العسكرية نظم علاقات مع عدد من أبناء طوائف الجبل على حساب مهمته العسكرية لاسيما بعد أن كثرت غيابات (فان) وعدم حضوره تدريبات الضابطية، واتهم المتصرف الكابتن (فان) بتشكيل تكتلات من أبناء طوائف الجبل لمعارضته في تنفيذ أعماله، واستند المتصرف في اتهامه ل(فان) على سعي الأخير الى وضع الصعوبات بوجه داود باشا حتى لا يتمكن من زيارة بيروت ولقائه المعارضين له والتفاوض معهم من أجل إنهاء الفوضى في المتصرفية وترسيخ الأمن هناك [٨٠].

وعلى الرغم من أن القنصل الفرنسي في بيروت المسيو إسارد Essards رأى أنَّه لم يبق سبباً لبقاء البعثة العسكرية الفرنسية في جبل لبنان إلا أنَّه أكد على تأجيل إنهاء تلك البعثة حتى تتخذ التدابير التي تكفل استمرار عمل وتنظيم الضابطية، وأكد في رسالة بعثها الى وزارة الخارجية بقوله:((**لاشك أن المهمة العسكرية التي نفذت من قبل فان قدمت كل الخدمات التي كان ينتظرها الفرنسيون**)) [٨١]، ورأى أنَّ نقص الأموال لدى المتصرف وقفت حاجزاً في تشكيل قوة عسكرية كبيرة ومنظمة يعتمد عليها في تنفيذ أوامره وتقوية سلطته وتنظيم إدارته، ورأى أنَّه على الرغم من الجهود التي بذلها المتصرف والبعثة العسكرية إلا أنَّ داود باشا لم يتمكن من الوصول الى هدفة وهو تشكيل قوة عسكرية إذ أنَّ تكوين قوة من ٢٠٠ متطوع لا تكفي لحفظ الأمن في جبل لبنان، وأشار الى أنَّ تلك الجهود لا تعني أنها مشاريع لا أهمية لها بل العكس من ذلك[٨٢] .

وقد تأزمت العلاقة بين المتصرف و(فان) ، ولاحظ القنصل الفرنسي في بيروت ذلك وأطلع سفير فرنسا في الأستانة المسيو دي موستيه الذي رفع تقرير الى وزارة الخارجية طلب فيها وضع حد لتجاوزات (فان) الذي كان عليه الرجوع الى القنصل والالتزام بتوجيهاته على اعتبار أنَّه ممثل فرنسا في بلاد الشام، وعلى الرغم من شكاوى القنصل والسفير الفرنسيين إلا أنَّ (فان) لم يغير سلوكه تجاه القنصل ولها اضطر السفير الى الطلب من وزارة الخارجية انهاء مهمة (فان) وإعادته الى فرنسا[٨٣] .

ومن المعلوم أن داود باشا اتفق مع الكابتن (فان) على شروط وجب على الطرفين الالتزام بها، وتضمنت تلك الشروط إنهاء مهمة البعثة العسكرية الفرنسية في ٩ حزيران عام ١٨٦٤[٨٤]،

ولهذا طلب المتصرف في شهر ايار عام ١٨٦٥ من القنصل الفرنسي في بيروت تبليغ وزارة الخارجية الفرنسية برغبته في تنفيذ الشروط التي اتفق عليها مع الكابتن (فان) في تاريخ إنهاء عمل البعثة العسكرية الفرنسية، وقد تزامن طلب مع الطلب الذي قدمه الكابتن (فان) للحصول على إجازة، ولكن القنصل الفرنسي فضَل عدم منح (فان) إجازة، وأنما إنهاء خدماته في جبل لبنان وإعادته الى فرنسا؛ لأنَه رأى أنَ خلافاً حدث بين المتصرف و(فان) وصل الى درجة أنَه من الصعب التوفيق بين الطرفين وأصبح بقاء (فان) سلبياً ليس على تدريب الضابطية وأنما على العلاقات بين فرنسا والمتصرف وعليه وجب وضع حداً لذلك بإبعاد (فان) عن جبل لبنان وتسليمه مكافئة مالية التي هي حق من حقوقه، وعلى الرغم من ذلك أكد القنصل أنَ إنهاء خدمات الكابتن (فان) لا يعني التخلي عن عمل البعثة العسكرية في جبل لبنان، وأنما تسليم الأمور الى التاب الذي سيعوض النقص الذي تركه (فان) لاسيما أن التاب أقام علاقات مع حكومة المتصرفية وحظي باحترام اللبنانيين وأصبحت له مكانة مهمة لدى داود باشا، ولهذا فأن التاب أجدر بقيادة البعثة من فان؛ لأنَه عرف كيف يستحق التقدير من اللبنانيين سواء المسؤولين أم الأهالي[٨٥] .

أصدر وزير الحربية الفرنسي المارشال رودانRoudan في حزيران عام ١٨٦٥ أمراً بمنح الكابتن (فان) إجازة اعتباراً من ٣٠ من الشهر نفسه، ويبدو أنَ منح تلك الاجازة أثارت موقف (فان) الذي لم يرسل أي رسالة الى القنصلية الفرنسية في بيروت أو يجهز نفسه للسفر الى فرنسا بل العكس من ذلك، زار عدد من مناطق جبل لبنان، وبما أنَه لم يُعرف الغاية من تلك الزيارات فقد تركت أثر سلبي على (فان) نفسه واتهمه المسؤولون الفرنسيون بعدم التزامه بالتعليمات التي صدرت اليه من قبل وزارة الحربية التي رأت أنَ (فان) وبدلاً من أنْ ينقل للقنصلية الفرنسية المعلومات المفيدة جميعها، تدخل في أمور ما لا تعنيه لا سيما زيارته الى البطريك إذ سلك عكس الاتجاه الذي كانت تريده الحكومة الفرنسية من رئيس بعثتها، وكان لتلك التصرفات أثر في نفس القنصل الفرنسي الذي طلب من وزير الخارجية أنْ يكون تصرف الكابتن (فان) موضع اهتمامه، ودعا من خلاله المارشال رودان الإسراع في دعوة (فان) الى فرنسا، ولهذا غادر الأخير بيروت الى فرنسا في ٢٠ ايلول عام ١٨٦٥ تاركاً تنظيم الضابطية اللبنانية الى العريف التاب[٨٦] .

أدى مساعدا الكابتن (فان) العريف التاب الذي كان أحد افراد سرية رماة الفرقة الاولى الفرنسية والعريف توركيه وكان ينتمي الى كتيبة المشاة القناصة مهمتهما بشكل حاز على

إعجاب المتصرف، وبما أن (فان) اعتمد بشكل رئيس في مراحل التدريب على التاب ورافقه في أكثر زياراته الى جبل لبنان، فقد أثَّر ذلك في شخصية التاب ونجاح مهمته فيما بعد[٨٧] .

اعداد الضابطية

بلغ عدد الضابطية اللبنانية في شهر أيلول عام ١٨٦٣ الى ٢٦٠ ضابطي، وضمت ضباط وضباط صف وضابطيين وكما وضح في الجدول الاتي[٨٨] .

الرتب العسكرية	العدد	الرتب العسكرية	العدد
الضباط	٥	ضابطيي السرية الثانية	١٠١
ضباط الصف	١٠	ضابطيي سرية الخيالة	٤٤
ضابطيي السرية الاولى	١٠٠	المجموع	٢٦٠

وازداد عدد الضابطية اللبنانية في شهر تشرين الثاني ١٨٦٣، وبلغ ٢٩٠ متطوع بضمنهم آمر الضابطية الذي منح رتبة أميرآلاي و ١١ ضابط منهم خمسة دروز والآخرين من المسيحيين وعرف أولئك اتقانهم اللغة الفرنسية وخُصص لهم راتباً شهرياً ومُنحت لهم الرتب العسكرية، وكما في الجدول الاتي[٨٩] .

الاختصـــاص أو المنصب	العدد	الراتب	الاختصـــاص أو المنصب	العدد	الراتب
عميد	١	٣٢٠ فرنك	ملازم ثاني	٢	١٢٠ فرنك
نقيب	٣	١٨٠ فرنك	مترجم	١	١٥٠
ملازم أول	٤	١٥٠ فرنك	طبيب	١	٢٢٠
المجموع	١٢	١١٤٠			

وحافظت الضابطية على أعدادها حتى نهاية عام ١٨٦٣ كما حافظت السرايا الثلاث على تنظيمها وفق التنظيم الفرنسي[٩٠]، وبلغ عدد المتطوعين من شهر آذار ١٩٦٣ وحتى شهر أيلول من العام نفسه ٦٤١ متطوع موزعين طائفياً حسب الجدول الاتي[٩١]

الطائفة	العدد	الطائفة	العدد	الطائفة	العدد
الموارنة	٣١٥	روم كاثوليك	٥٩	لاتين	٢
الدروز	١٩٢	مسلمين	٦	المجموع	٦٤١
روم أرثوذكس	٦٢	بروتستانت	٥	=======	====

ومن المعلوم أنَّ أولئك الضابطيين لم يتدربوا بوحدة تدريبية واحدة؛ وأنما اختلف ذلك تبعاً لعمليات التسريح ومن ثم التطوع التي قام بها المتصرف، وأرجع الكابتن (فان) عملية التسريح تلك الى هروب عدد من الضابطيين أو بسبب التسريح الإجباري الذي نفذه المتصرف لأسباب تعلقت بعدم توفر الشروط بالمتطوعين أو نقص الأموال[٩٢].

وعلى الرغم من اهتمام المتصرف والبعثة العسكرية الفرنسية إلا أنَّ الموجود الفعلي للضابطية لم يزد؛ بل سجل نقصاً؛ بسبب تسريح عدد من أفرادها المرضى أو الذين أُجبروا على ترك الخدمة لأسباب خاصة، وعليه فقد كان الموجود الفعلي في شهر شباط عام ١٨٦٤ هو ٢٧٦ ضابطي، ورأى الكابتن (فان) أنَّ داود باشا لم يواجه صعوبة في وجود الأشخاص الذين رغبوا الانضمام الى الضابطية واستبدالهم بالمتسرحين بقدر ما تعلق الأمر بوجود الأموال الكافية لتمويل الراغبين للتطوع في صفوف الضابطية[٩٣]،

لم يزد عدد الضابطية حتى شهر أيار من العام ١٨٦٤ كثيراً، ولكنها سجلت زيادة ملحوظة مقارنة بشهر شباط وبلغ عددها ٢٨٤ موزعين على خمسة مواقع جغرافية في متصرفية جبل لبنان وكما في الجدول الاتي[٩٤] .

الموقع	العدد	الموقع	العدد	الموقع	العدد
سبينة	١٢٠	جونية	٥٠	دير القمر	٥٨
زحلة	٢٧	قرب طرابلس	٢٩	المجموع	٢٨٤

وقد أثار عدم زيادة الضابطية حفيظة الكابتن (فان) الذي خشي من أنَّ المتصرف تخلى عن تنظيمها، وحمَل في تقريره الى وزارة الخارجية، المتصرف عدم زيادة الضابطية عدداً وعدة واتهمه بعدم رغبته في تشكيل ضابطية في جبل لبنان[٩٥]

أخذت أعداد الضابطية في تناقص، وأكد الكابتن (فان) أن عدم التقدم في مهمته يرجع الى عدم رغبة المتصرف في تنظيم الضابطية التي بلغ عددها في شهر حزيران عام ١٨٦٤، ٢٧٩، وانخفض العدد في شهر تموز الى ٢٣٤، وتناقصت أعدادها في شهر آب حتى وصل الى ١٩٨ ضابطي موزعين على صنفي المشاة والخيالة وتناقص عددها في شهر أيلول حتى وصل الى ١٩٤ ضابطي[٩٦] .

إنَّ أهم ما تميزت به الضابطية اللبنانية هي أنَّ أعدادها في تناقص مستمر على الرغم من الجهود التي بذلها المتصرف لزيادة أعدادها تلك، فضلاً عن توقف دفع المساعدات التي وعد بها العثمانيون لتنظيم الضابطية، ولم يمتلك داود باشا الأموال اللازمة فخزينة المتصرفية قليلة ومصادر دخلها فقير، وقد انعكس ذلك على اجتياز المصاعب لتحقيق رغباته[٩٧] .

أرجع الكابتن (فان) انخفاض عدد الضابطية الى تسريح المتصرف لعدد منهم بحجة عدم استيفائهم لشروط التطوع، وقد قابل انخفاض العدد زيادة في رواتب الذين وقع عليهم الاختيار، وأصبح راتب الضابطي الخيال ٤٠٠ غرش بدلاً من ٢٩٠ غرش والضابطي المشاة ١٧٠ غرش بدلاً من ١٤٠ غرش، وزادت رواتب الضباط وضباط الصف، وأمر المتصرف بتجهيز كل ما يحتاجه الضابطي على نفقة المتصرفية بعد أنْ كان يتحمل الضابطي جزاً منها[٩٨].

لم يطرأ تغيير على الموجود الفعلي للضابطية اللبنانية حتى نهاية عام ١٨٦٤، فقد سجلت ارتفاعاً ملحوظاً إذ وصل عددها في شهر كانون الاول من العام ذلك الى ٢٥٠ ضابطي، ورأى القنصل الفرنسي أنَ التطوع وإنْ كان إيجابياً إلا أنَه لم يكن بمستوى ما أُريد له وأرجع سبب ذلك الى أنَ داود باشا لم يكن جاداً في عملية التطوع، وعلى الرغم من اتهام القنصل ذلك إلا أنَ الحقيقة تشير الى أنَ التطوع لم يكن عملية سهلة وأنَ اللبنانيين مقتوا التجنيد بدليل أنَ ٥٠ لبنانياً رفضوا التطوع على الرغم من حضورهم الى بيت الدين فضلا عن أنَ عدد من الذين حضروا كانوا أساساً قد تقدموا للتطوع إلا أنَ المتصرف حذف أسماؤهم بحجة أنَهم غير صالحين للتطوع، ورأى الكابتن (فان) صعوبة معرفة الطريقة التي قام بها داود باشا في قبول أو رفض أو إعادة إرسال المتطوعين حينما تكون الضابطية التابعة له غير منشغلة بأعمالها اليومية[٩٩] .

أدت الظروف المالية الى نقص في الضابطية اللبنانية التي وصل عددها الى ٢٧٩ جندي، وعلى الرغم من ذلك رغب الكثير من اللبنانيين لاسيما الشباب منهم التطوع في صفوف الضابطية، فقد طلب ثمانون شاباً من أهالي دير القمر من الكابتن فان التطوع في صفوف الضابطية، كما طلب عدد من شباب مدينة غزير ذلك أيضاً[١٠٠].

وقد قرر المتصرف في شهر أيار عام ١٨٦٤الغاء التطوع الذي كانت مدته سنة واحدة، ولكن داود عيّن طبيباً ايطالياً سبق وإنْ خدم في الجيش العثماني مدة ١٥ عام للعمل في صفوف الضابطية، وعلى الرغم من ذلك جرت محاولات لتهيأة مكان للجندرمة يستوعب ٣٠٠ جندي و٦٠ حصان، وأعلن داود باشا أنَ التطوع سيعمل به بعد اعادة تعيينه مرة أخرى خلال عام١٨٦٤[١٠١].

وعلى الرغم من الاتهامات التي وجهها الكابتن (فان) الى داود باشا في عدم جديته لتنظيم الضابطية إلا أنَه أكد في تقرير له الى وزارة الخارجية الفرنسية أن التناقص لا يعود الى عدم رغبة المتصرف في زيادة العدد؛ وأنما أعاد التناقص ذلك الى الغاء داود باشا لعدد من المقبولين في الضابطية؛ وذلك بعد اعادة الفحص الطبي عليهم وحضره المتصرف نفسه؛ لأنَه لا يريد إلا

رجالاً أشداء يتميزون بقابلياتهم الجسمانية والصحية إلا أنَّ البعض رأى أنَّ داود باشا قصد من تقليص العدد حتى يتمكن من دفع الرواتب الى الجنود دون أنْ يواجه صعوبات مالية أو يضطر الى خفض مبلغ الرواتب تلك لاسيما أنَّ المتصرف نفسه وعد أنْ يكون راتب كل ضابطي خيّال من ٢٩٠ الى ٤٠٠ بياستير أي ما يعادل ٩١ فرنك و١٤٠ الى ١٧٠ للضابطي المشاة مع العلم أنَّ تسليح وسكن أولئك كان على نفقة حكومة المتصرفية، وقد قرن داود باشا تنفيذ ذلك بإعادة تعيينه مرة أخرى، ولم يستثن المتصرف رواتب الضباط من تلك الزيادة[١٠٢] .

وقسمت الضابطية اللبنانية في تشرين الثاني عام ١٨٦٤على قسمين، الأول وهم المشاة الذين توزعوا على سريتين والقسم الآخر الخيالة وتوزعوا على سريتين أيضاً، ويبدو أنَّ رواتب ضابطي السرايا تلك لم تكن بمستوى واحد بدليل أنَّ راتب ضابطية السرية الاولى المشاة بلغ ٥٠ فرنك بينما استلمت ضابطية السرية الثانية ٤٠ فرنك فقط، وانطبق ذلك على سريتي الخيالة، ففي الوقت الذي استلمت السرية الاولى راتباً قدره ٩٠ فرنك، استلمت السرية الثانية ٧٨ فرنك فقط، وقد أُضيف الى ذلك بدل الغذاء والاحذية والالبسة وغطاء الرأس وعدة النوم، ورأى الكابتن (فان) أنَّ مبلغاً قدره ٣٠٠ بياستير في السنة يكفي لتجهيز ضابطي واحد بصورة جيدة كمستلزمات شراء الملابس، ومبلغ ١٠٠ بياستير لإدامة السلاح وشراء التجهيزات ومستلزمات التدريب المختلفة[١٠٣].

عدّ الكابتن (فان) أنَّ تقليص الضابطية اللبنانية جاء دون رغبة فرنسا إذ سيؤدي ذلك الى دخول القوات العثمانية الى جبل لبنان بحجة فرض الأمن والنظام لاسيما أنَّ ذلك يتعارض مع نظام جبل لبنان عام ١٨٦١ الذي أوكل مهمة حفظ الأمن لقوة لبنانية محلية، وأكد (فان) أنَّه لا يمكن لجبل لبنان أن يفرض الأمن دون الحاجة الى العثمانيين إلا إذا امتلك جندرمة لا تقل عن ٣٥٠ فرداً، وأشار الى أنَّ أهالي غزير أرسلوا احتجاجاً الى داود باشا؛ بسبب دخول قوة عسكرية عثمانية الى مدينتهم، واتهم (فان) المتصرف أنه خطط منذ مدة لإدخال القوات العثمانية تلك الى قضاء كسروان بحجة عدم امتلاكه لقوة تفرض الأمن والنظام هناك، ولم ييأس فان من تطوير الضابطية وزيادة عددها إلا أنَّه رأى أنَّ مسؤولية عدم تنفيذ ما جاء في المادة ١٥ من نظام الجبل لا يعود الى عدم رغبة داود باشا؛ وأنما لموافقة القنصل الفرنسي في بيروت على تنظيم قوة لبنانية يستخدمها المتصرف كحرس شخصي له، وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها فان الى المتصرف إلا أنَّ الضابطية واصلت تدريباتها مرتين في اليوم الواحد ما عدا يوم الاحد والاعياد المسيحية، ورأى أنَّ تلك التدريبات كافية لتنظيم الضابطية؛ لأنَّها قليلة العدد[١٠٤].

قيادة الضابطية

عيَّن داود باشا عام ١٨٦٤ الأمير سعيد شهاب بدلاً من الأمير قيس قائداً للضابطية اللبنانية، وتميز سعيد بثقافته العالية والمامه باللغة الفرنسية ومعرفة واسعة بالأهالي لاسيما المحيطين به واشتهر بتحفظه الشديد، واحتفظ بعلاقات جيدة مع البريطانيين لاسيما عائلة تشرشل، وعرف بعداوته للأمير مجيد شهاب، وعلى الرغم من الصفات تلك إلا أنَّه لم يكن محبوباً وكان ذو شعبية قليلة بين اللبنانيين ولكنه نال منزلة لدى داود باشا الذي ساانده في القضايا التي واجهته خلال توليه منصب قيادة الضابطية حتى أنَّه طرد ضابطين لبنانيين من الضابطية من آل شهاب عرفا بولائهما للأمير مجيد(١٠٥) .

حاول الأمير سعيد تقوية علاقته مع الفرنسيين وأكد للكابتن (فان) أنَّه أصبح فرنسياً، ولكن الأخير – أي (فان)– لم يستحسن ذلك، ورأى أنَّ من الأولى أنْ يكون الأمير لبنانياً، واتهم (فان) المتصرف بمحاولة استخدام الأمير سعيد لإشاعة الفوضى بين صفوف الضابطية وإثارة الفتنة بين الدروز والموارنة، وأكد أنَّ الأمير سعيد كان يقظاً وأظهر من الوطنية ما أحبط تلك المحاولات، ورأى أنَّ الأمير حاول التقريب بين الدروز والموارنة لاسيما موارنة قضاء كسروان(١٠٦) .

لم يحبذ المتصرف أعضاء البعثة الفرنسية حصر قيادة الضابطية اللبنانية بعائلة آل شهاب فقد عيَن يوسف بك من قضاء جزين قائداً بدلاً من الأمير سعيد، وعمل يوسف مع فؤاد باشا عند تواجده في سوريا عام ١٨٦٠، إلا أنَّ ما يأخذ عليه أنَّه لم يكن شخصية محبوبة من قبل اللبنانيين بطوائفهم جميعها؛ ولهذا أُبدل بالشيخ شبارا حبيش الذي تمتع بمكانة جيدة لاسيما أنه ينتمي الى أحدى الأسر اللبنانية المعروفة، وكان من كبار ضباط الضابطية ومعروف بثقافته الفرنسية، وحاول داود باشا إنهاء الطائفية بين صفوف الضابطية، وعيّن سليمان شاكر أحد الضباط من أبناء الطائفة الدرزية قائداً للضابطية، ولم يختلف الأخير عن ممن سبقه في ثقافته الفرنسية والمامه بلغتها، وأدى دوراً في تنظيم الضابطية ونال تأييد المسيحيين، وعلى الرغم من ذلك إلا أنَّ فان اتهم سليمان بمولاته للدروز وتفضيلهم على المسيحيين(١٠٧) .

التجنيد

أما ما يخص التطوع، فقد منح اداود باشا قائمقامي الاقضية صلاحية اختيار المتطوعين وتدقيق الشروط وصلاحية التطوع، واستند ذلك على أساس تقديم القائمقام قائمة بعدد من الرجال كمتطوعين، وعلى الرغم من تلك الصلاحية إلا أنَّ القائمقامين لم ينفذوا ما طلب منهم حتى شهر تشرين الثاني عام ١٨٦٤ما عدى الأمير ملحم أرسلان قائمقام الشوف الذي قدم قائمة بعدد

المتطوعين عن القضاء، ولاحظ فان أن اختيار المتطوعين لم يقتصر على أبناء طائفة دون غيرها؛ وأنما شمل الطوائف اللبنانية في قضاء الشوف جميعها، وعلى الرغم من تنفيذ قائمقام الشوف لذلك إلا أنَّ المتصرف أبعد عدد من متطوعي القضاء لاسيما من أبناء مدينة دير القمر ذات الأكثرية المارونية، وجاءت عملية الإبعاد لعدم رغبة داود باشا بإدخال أبناء المدينة تلك في صفوف الضابطية إذ عرف عن هؤلاء إثارتهم للمشاكل وتعصبهم الطائفي لاسيما أنَّ الحروب بين الدروز والموارنة أغلبها بدأت من دير القمر[١٠٨] .

باشر داود باشا بفتح باب التطوع في ٢٠ تشرين الثاني عام ١٨٦٥، والتحق ٥٤ رجلاً في خدمة الضابطية، وأصبح الموجود الفعلي ٢٦٩ ضابطي وارتفع الى ٣٠٠، وطلب عدد من الضابطية المسرحين بسبب عدم توفر الأموال اللازمة لتمويل رواتبهم أو المطرودين بسبب اهمالهم القيام بواجباتهم إعادتهم للخدمة في الضابطية، ولاحظ القنصل الفرنسي أنَّ الأمور تسير بشكل جيد وكما رسم لها، وأكد أنَّ عدد الضابطية سيزداد في ربيع عام ١٨٦٦، وسيكون وجودها منظماً بشكل جيد[١٠٩]، وقد باشر داود باشا بالتنظيم، وانظم أكثر من مائة شخص خلال أيام عدة، وتوقع أن يصل عدد المتقدمين للمتطوع في نهاية عام ١٨٦٥ الى ٥٠٠ شخص، وقد اتخذ المتصرف قراراً حدد فيه عدد الضابطية بخمسمائة ضابطي مسلحين تسليحاً كاملاً ومستعدين لمواجهة الأحداث جميعاً[١١٠] .

ويبدو أنَّ الاهتمام الذي أولاه داود باشا في تنظيم الضابطية اللبنانية لا يعود الى رغبته في إيجاد قوه من أجل حفظ الأمن والنظام وتأمين احترام السلطة وتكريس قراراتها؛ وأنما تجنباً لدخول القوات العثمانية الى مدن وقرى جبل لبنان لاسيما أنَّ المتصرف لم يكن متحيزاً لاستخدام القوات العثمانية ذات الصبغة الاسلامية ضد المسيحيين بل العكس من ذلك فداود باشا كان متمسكاً بضابطيته التي ضمت أكثرها عناصر مسيحية، وكانت رغبة المتصرف تتحدد في امتلاكه قوة وطنية مسلحة تنفذ أوامره بشكل مباشر، ولهذا طلب توظيف ١٥٠٠ شخص منهم ٥٠٠ كقوة نظامية والآخرين يوزعون على القرى لتأمين الأمن واستحصال الضرائب [١١١] .

كانت فكرة داود باشا تنطلق من تكوين قوة مسلحة تتكون من مسيحيين أجانب كالبولنديين والالبان لتكون تحت قيادته وتعمل على تنفيذ أوامره لاسيما أنَّ اللبنانيين لم يحبذوا التطوع في القوة تلك إلا أنَّ الظروف التي مر بها المتصرف غيرت من الفكرة تلك وبدأ يفكر في تأسيس قوة وطنية مسلحة؛ لأنَّها احدى الوسائل التي تؤدي الى إنهاء المشاكل لاسيما الطائفية في جبل لبنان إذ أنَّ اشتراك اللبنانيين بطوائفهم جميعها في الضابطية يؤدي الى ضعف التناحرات

الطائفية وتحسس اللبنانيين بالمسؤولية الجماعية في حفظ الأمن والنظام في لبنان والقضاء على الفوضى وحالات العصيان التي تحصل هناك[١١٢] .

مهمات الضابطية

ومن أجل بث روح الحماس بين الضابطية اللبنانية، قامت الضابطية في ١٥ تشرين الأول عام ١٨٦٤ باستعراض عسكري لمناسبة زيارة بطريك الروم الكاثوليك الى بيت الدين، وعدّت الزيارة تلك أول زيارة لرجل دين بهكذا منصب الى مقر المتصرفية، وقد أثنى البطريك على الاهتمام الذي وجده من قبل المتصرف وشكر الضابطية على الاستعراض ذلك، وبعد يوم واحد من زيارة البطريك تلك، استعرضت الضابطية مرة أخرى، وحضر الاستعراض فضلاً عن المتصرف، القنصل الفرنسي في بيروت الذي رأى أنَّ الضابطية وصلت الى درجة من التنظيم والتدريب، وقد حفزت الاستعراضات والزيارات تلك الموارنة الذين أظهر عدد منهم أسفهم لعدم وجود علاقة بين المتصرفية والبطريكية المارونية، وأتهم أولئك الآباء اليسوعيين الذين رغبوا في إبعاد رجال الدين الموارنة عن العمل السياسي وعدم التدخل في شؤون المتصرفية حتى يفسح لهم المجال في تنفيذ مشاريعهم على حساب رجال الدين الموارنة[١١٣] .

وأقامت الضابطية اللبنانية في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٨٦٤ استعراضاً في بيت الدين احتفالاً بتعيين داود باشا مرة أخرى وصدور النظام الجديد لجبل لبنان، وحضر الاحتفال رجال الدين وقناصل الدول في بيروت وممثلين عن الحكومة العثمانية في بيروت وعدد من الضباط العثمانيين العاملين في سوريا وجبل لبنان، وفضلاً عن الاستعراض، أقامت الضابطية سياجاً بشرياً أحاط بالمحتفلين لتأمين الحماية لهم، وألقى عدد من الحضور خطباً أثنوا فيه على جهود الحكومة العثمانية في ترسيخ الأمن في جبل لبنان[١١٤] .

استلم الكابتن (فان) في ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٦٤ رسالة من داود باشا أكد فيها أنَّ سكان مدينة زحلة ذات الأكثرية الكاثوليكية انقسموا على قسمين وحدث نزاع بينهما وتبادلوا اطلاق النار، وطلب المتصرف من الكابتن الحضور الى زحلة ودخولها بأفراد الضابطية، ورأى (فان) استحالة تنفيذ ذلك؛ بسبب تساقط الثلوج بغزارة هناك مما شكل عائقاً ليس فقط امام تقدم الضابطية؛ وأنما في انهاء النزاع بين المتخاصمين، وقد اثبتت الاحداث صحة ما ذهب اليه الكابتن (فان)، إذ وبسبب الظروف المناخية أخلد المتخاصمون الى السكينة، وعلى من ذلك فأنَّ المتصرف توجه الى مكان زحلة دون مرافقة فان والضابطية له مما أدهش الكابتن الذي لم يتوقع ذلك من المتصرف[١١٥] .

وزار الكابتن (فان) مدينة زحلة وخصص جزء من زيارته تلك لتفقد المؤسسات الفرنسية المتمثلة بالآباء اليسوعيين، فزار مدارسهم وأُعجب بطريقة تدريسهم لاسيما في المناطق النائية التي يصعب الوصول اليها بسبب وعورتها، وقد شاهد أطفال المدارس الذين تربّوا على الثقة بالنفس وحب فرنسا، ورأى أن طلبة المدارس فيما إذا استمر تدريسهم بالطريقة تلك سيكونون جيلا حاملاً افكاراً جديدة تجعلهم لا يقبلون العثمانيين، وأكد أنَّ المتصرف كان يخشى المؤسسات تلك لأنَّه يعلم ما مدى تأثيرها على سكان المتصرفية لاسيما المسيحيين منهم حتى أنَّه اعترف (لفان) من أنَّ ((**الآباء اليسوعيين يربون المسيحيين حتى يصبحوا ثوريين**)) [١١٦] .

وحضر الكابتن فان احتفالية أقامتها إحدى دور الأيتام في زحلة والتقى بالأب هنري مدير تلك الدار، الذي أكد أنَّ عمل اليسوعيين تركز على تنفيذ رغبة فرنسا بتدريب اللبنانيين وتهيئتهم لإدارة حكومتهم بأنفسهم دون الاعتماد على الولاة والمسؤولين العثمانيين حتى إذا ما جاء اليوم الذي تطلب فيه فرنسا من اللبنانيين أنَّ يكونوا تحت وصايتها والانفصال عن الدولة العثمانية فلا يكون هناك سبباً في عدم تنفيذ ذلك، ولم يقتصر دور اليسوعيين في تعليم المسيحيين فقط؛ وأنما استمالوا عدد من أبناء الدروز للدخول في مدارسهم لاسيما من أبناء العائلات الدرزية كآل العماد[١١٧] ، وأكد الأب هنري أنَّ بعض الدروز وافقوا على وضع أنفسهم تحت خدمة فرنسا وأنَّ بعضهم اتصل بيوسف كرم[١١٨] من أجل توحيد مواقفهم ضد المتصرف، وعلى الرغم من أنَّ استمالة الدروز لم يكن بالشكل الذي كان يتمناه الأب هنري إلا أنَّه رأى إمكانية توطيد العلاقة بين الدروز والمسيحيين [١١٩]، وفي الوقت نفسه، زار داود باشا مدينة زحلة التي استقبله أهلها برفع العلم الفرنسي وهتفوا بحب فرنسا، ولم يظهر المتصرف انزعاجاً من ذلك، وأنما أصغى الى مطالبهم لاسيما ما تعلق بالحاق المعلقة[١٢٠] بمتصرفية جبل لبنان، وأكد أنَّ الحاق المعلقة أمراً ضرورياً لقربها من زحلة وأهميتها الاقتصادية[١٢١] .

وقد شهد جبل لبنان أحداثاً سياسية بعد تولي داود باشا متصرفية جبل لبنان، فقد عارض يوسف كرم تعيين داود باشا متصرفاً، وأكد أنَّه لم يعترف إلا بسلطة فؤاد باشا، وأثار متاعب للأمير مجيد الشهابي قائمقام كسروان ذو الأكثرية المارونية وأكبر أقضية المتصرفية، وأدى ذلك الى انقسام الكسروانيين على قسمين، أحدهما أيد سلطة الأمير مجيد والآخر انضم الى يوسف كرم[١٢٢] .

وفي الوقت نفسه رفض أهالي غزيز وجود اليسوعيين الذين امتلكوا مؤسسة كبيرة هناك، وأكد القنصل الفرنسي العام في بيروت المسيو سيكالدي Secaldea، أنَّ حالة الاضطراب في غزير بدأت منذ نهاية عام ١٨٦٣، وبذرت روح الكراهية بين المسيحيين اللبنانيين واليسوعيين،

ويعود الخلاف بين الطرفين الى هيمنة اليسوعيين على عدد من آبار المياه التي اعتمد عليها سكان غزير في حياتهم اليومية وسقي مزارعهم مما أدى الى فقدان الغزيريون للمصادر تلك فضلا عن مطالبة سكان غزير اليسوعيين بإعادة الأراضي التي امتلكوها والتي تعهد فيها اليسوعيون بتشييد مدرسة لسكان غزير عليها إلا أنَّهم لم ينفذوا تعهداتهم تلك[١٢٣] .

بدأت حادثة غزير عندما زار وفد من سكانها الأب استيف Esteve لمناقشته حول الشروط التي تعهد بتحقيقها اليسوعيون إلا أنَّ حسم القضية تأخر لبعض الوقت، ورأى داود باشا أنَّ القضية يجب انْ تنتهي بأسرع وقت ممكن وطلب من الأمير مجيد العمل على إنهائها إلا أنَّ الأخير لم يصل الى نتيجة مع الطرفين، ويبدو أنَّ أسباباً أدت الى تأخر حل القضية منها ما تعلق بموقف اليسوعيين الذين رفضوا التنازل عن ما حصلوا عليه من مصادر مياه أو قبول أبناء مدينة غزير في مدرستهم بدون أجور، أما موقف سكان غزيز، ففضلاً عن الأسباب الآنفة الذكر فقد كان لطرد اليسوعيين حنا رعد أحد رجال الدين الموارنة والذي عمل معلماً في مدرستهم أثر في استياء الأهالي من ذلك، وحاول حنا استخدام أي وسيلة من أجل كسب القضية لصالحه[١٢٤].

رأى داود باشا أنَّ حل قضية غزير لا تتم إلا بتدخل الضابطية اللبنانية، ولهذا عين الأمير أمين الشهابي قائداً على قوة من الضابطية تلك إلا أنَّ الأمير أمين ما إنْ بدأت المعركة في ٢٣ شباط عام ١٨٦٤ حتى انسحب منها وعاد الى بيته قرب بيروت، فكلف المتصرف الكابتن (فان) إنهاء حالة الفوضى في غزير وإعادة هيبة الضابطية التي ضعفت نتيجة تركها ساحة المعركة، ونجح (فان) في ذلك وتمكن من توقيف ثمانية غزيريين لاتهامهم بإثارة الفتنة هناك، واتخذ من أحد بيوت المدينة مقراً له[١٢٥] .

خشي الكابتن (فان) من عدم تنفيذ الأوامر التي اتخذها فيما يخص الأمن وإنهاء الفوضى، ولهذا طلب من أحد رجال الدين الموارنة في غزير مساعدته لتهدئة الأهالي، فوافق على ذلك ودعا الى الاجتماع، وبما أنَّ الأهالي انقسموا بين رافض لما قام به اخوانهم من معارضة حكومة الجبل وبين متخوف من الاجتماع، فقد انتهى بدون اتخاذ أي قرار، ورأى (فان) أنَّ وجوده في غزير سبب له مشاكل مع الأهالي فقرر الاستقرار في سبينة ولكن ما إنْ انسحب (فان) من غزير حتى وصلها الأمير أمين الشهابي ومدير المدرسة اليسوعية وأحد أبناء آل الخازن[١٢٦]، وكان لحضورهم أثر في تعقيد المشكلة وعمّت الفوضى المدينة وأعلن الأهالي عدم الخضوع للحكومة، وصادف أنْ شيّع الأهالي أحد موتاهم وأظهروا تذمرهم من اليسوعيين، واستنكروا عدم قبول أبنائهم في المدرسة اليسوعية واقتصارها على قبول الطلبة من خارج غزير

أو من أبناء المشايخ الذين لم تكن لم ميول فرنسية كالتي وجدت لدى عامة الغزيريين، وعدم تقديم اليسوعيين أي خدمة للأهالي، ورءوا أنَّه إذا أرادت فرنسا أنْ تخضع الأهالي الى اليسوعيين فأنها ستخسر من امتلك حبها وأيد وجودها في جبل لبنان، وقد وصل التذمر الى درجة أنْ قرر الغزيريون الذهاب الى سبينة لمقابلة الكابتن (فان) الذي أكد أنَّه سينسحب من سبينة ويعود الى بيت الدين وأعلن عدم مسؤوليته عما يحدث بعد ذلك، وقد رأى الغزيريون أنَّ انسحاب (فان) سيؤدي الى استدعاء المتصرف للقوات العثمانية دخول غزير والقضاء على حالة الفوضى فيها[١٢٧] .

مراكز الضابطية

استقرت احدى وحدات الضابطية اللبنانية في سبينة التابعة لقضاء كسروان وخصصت لها مخازن للأسلحة والتجهيزات العسكرية الأخرى، وجاء اختيار سبينة؛ لأنَّها تمثل مركز القضاء، ورأى الكابتن (فان) أنَّه يجب أنْ لا يقل مجموع تلك الوحدة عن ٣٠ جندي على أنْ يكون مسؤول تدريبها أحد أعضاء البعثة الفرنسية، وفضّل أنْ يكون الكابتن التاب، وعلى الرغم من أنَّ الغرض من وجود جنود الضابطية في سبينة القضاء على الاضطرابات التي شهدها قضاء كسروان إلا أنَّها لم تتدخل في النزاع الذي حدث بين فريقين من الكسروانيين نهاية عام ١٨٦٣؛ ولكن الكابتن التاب تدخل بشكل شخصي وتمكن من إنهاء النزاع وتسوية الأمور بينهما[١٢٨] .

أرسل داود باشا في شهر تموز عام ١٨٦٥ مجموعة من الضابطية للإقامة في غزير، ومكث أولئك شهرين ولم يواجهوا اي احتجاج من الأهالي كما كان متوقعاً؛ وأنما كانوا موضع ترحيب سكان غزير، وفي جونية طلب موظفو الكمرك العثماني من داود إرسال مجموعة من الضابطية اللبنانية للإقامة في الكمرك تحسباً من قيام الأهالي بعمل ضد العثمانيين لاسيما في فصل الشتاء حيث تنقطع وسائل الاتصال بسبب تساقط الامطار والثلوج، ووضع المتصرف مجموعة أخرى من الضابطية في مدينة سبينة، وقد أدت خطط المتصرف تلك في حفظ الأمن والنظام في المناطق التي عدت أهم مناطق الجبل معارضة لحكومة داود باشا[١٢٩] .

الخاتمة

- عُدت البعثة العسكرية الفرنسية انتصاراً للدبلوماسية الفرنسية في بلاد الشام لاسيما بعد انسحاب القوات الفرنسية من سوريا عام ١٨٦١ وعدم تحقيق ما كانت تتمناه الحكومة الفرنسية من ترسيخ نفوذها هناك، ولهذا أصبحت البعثة أحد الطرق لتحقيق النفوذ الفرنسي في جبل لبنان بشكل خاص وسوريا بشكل عام .

•على الرغم من أنَّ الفرنسيين رأوا في البعثة ما يحقق جزء من سياستهم في جبل لبنان إلا أنَّ موقف المتصرف ومن ورائه الباب العالي حال دون تحقيق ما عزموا عليه لاسيما بعد أن رفض داود باشا الافكار التي طرحها الكابتن (فان) فيما يتعلق باللباس العسكري والرتب العسكرية وزيادة أعداد الضابطية.

•رسخت البعثة العسكرية الطائفية في جبل لبنان ولبنان الكبير فيما بعد لاسيما ما تعلق بقياداته العسكرية العليا التي أصبحت محصورة بالطائفة المارونية على الرغم تغيير التركيبة الديمغرافية التي شهدها لبنان فيما بعد.

•انحصر واجب الضابطية اللبنانية على حفظ الأمن والنظام في جبل لبنان ومساعدة المتصرف في تنفيذ أوامره وعدم إضفاء أي صفة عسكرية عليها كما انحصر تسليح الضابطية اللبنانية بالأسلحة الفرنسية فقط .

•على الرغم من أنَّ داود باشا طلب من الحكومة الفرنسية تزويده بضابط له المام بتقاليد الشرق إلا أنَّ علاقته مع الكابتن (فان) لم تكن بمستوى طموح المتصرف أو الحكومة الفرنسية مما أدى الى استحالة بقاء رئيس البعثة العسكرية في مهمته وعاد الى فرنسا تاركاً الى مساعده تلك المهمة.

•وعلى الرغم من ذلك كان للبعثة العسكرية الفرنسية أثر كبير على جبل لبنان إذ أوجدت كادراً تدريبياً وإدارياً متعلماً من الضباط وضباط الصف، ولو أنَّ الظروف المالية والسياسية سمحت أكثر من ذلك لنجحت البعثة أكثر ولتمكنت من تطوير قابليات الضابطية اللبنانية وجعلها في مستوى أكثر تنظيماً وقوة مما كانت عليه .

الهوامش

(١) امارة اقطاعية حكمت جبل لبنان (١٦٩٧-١٨٤٢)، وخضع امرائها الى ولاة بلاد الشام سواء ولاة دمشق أم صيدا أم طرابلس، وعُد الامير بشير الأول (١٦٩٧-١٧٠٧) أول أمرائها بينما عُد الامير بشير الثاني(١٧٨٧-١٨٤٠) أقوى الامراء أولئك وبلغ عدد الامراء الذين تولوا حكمها ثمانية أمراء، والغيت الامارة بفرمان عثماني صدر في ١٦ كانون الثاني عام ١٨٤٢ . ينظر، فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ت انيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨، ص٤٧٠-٥١١ . وللمزيد من المعلومات عن تاريخ الامارة الشهابية ينظر. عباس ابو صالح، التاريخ السياسي للأمارة الشهابية ١٦٩٧-١٨٤٢، بيروت، ١٩٨٤ .

(٢) هو نظام سياسي أنشأ عام ١٨٤٢بمقترح من رئيس وزراء النمسا مترنيخ، وتلخص في اقامة قائمقاميتين في جبل لبنان، الاولى مسيحية وعلى رأسها قائمقام مسيحي وتقع شمال الجبل والثانية درزية وعلى رأسها قائمقام درزي وتقع جنوبه وعُين طريق بيروت دمشق حداً فاصلاً بين القائمقاميتين، واستمر النظام ذلك مدة ١٨ عام وأُلغي عام ١٨٦٠بعد الاحداث الطائفية التي شهدها جبل لبنان واستبدل بنظام المتصرفية . ينظر: احمد

طربين، ازمة الحكم في لبنان منذ سقوط الامارة الشهابية حتى قيام المتصرفية ، دار الفكر، دمشق ، ١٩٦٦، ص٧٥-٨٢؛ احسان سعيد اسماعيل، التدخل الاجنبي في شؤون لبنان من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦١،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٧،ص٢٦-٦٧ . وللمزيد من المعلومات عن نظام القائمقاميتين ينظر. كمال علي منذر، نظام الادارة في جبل لبنان في اثناء مرحلة القائمقاميتين ١٨٤٠-١٨٦١، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الانسانية، د ت.

(٣) مجموعة من الجند كلفوا من قبل أمراء جبل لبنان لجمع الضرائب من أصحاب الاراضي والعقارات، وكانوا ينزلون في بيوت الذين امتنعوا عن دفع الضرائب تلك حتى يضطر صاحب البيت الى دفع ما ترتب علية من ضريبة . ينظر: عادل اسماعيل ومنير اسماعيل، تاريخ لبنان الحديث (الاوضاع الاجتماعية والنشاط الاقتصادي والثقافي ١٦٧٠-١٩٤٥) ، الجزء الاول ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص٢٢٠.

(٤) ضريبة فرضها الباب العالي عام ١٨٣٩ وتدفع لخزينة الدولة العثمانية، وينقسم الويركو على اقسام منها ويركو الاملاك وويركو التمتع وتفرض على الاراضي والعقارات والافراد الذين تراوحت اعمارهم بين ٢٠ الى ٧٠ سنة .

(٥) وتسمى الدرك، وتعني رجل السلاح، نشأت أولاً في فرنسا في عهد الملك فيليب أوغست ١١٦٥-١٢٢٣م، وهي قوات شبه نظامية وجدت في بعض دول العالم؛ لاسيما الدول التي خضعت للحكم الفرنسي، ومهمتها ادارية وقضائية، وتختلف عن القوات النظامية في أنها ذات صلة مباشرة بالمواطنين . ينظر: الهيثم الايوبي، الموسوعة العسكرية، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ٣٣٤-٣٣٦.

(٦) سموا بهذا الاسم نسبة الى احمد بن اسماعيل الملقب بالدرزي وتعني الخياط، ويرجع تاريخ ظهور الدرزية كمذهب ديني الى القرن الحادي عشر، وانتشر المذهب الدرزي في وادي التيم جنوب شرق لبنان وتوسع الى المناطق المجاورة كجبل لبنان، والمذهب الدرزي مذهب متكتم ويقتصر الاطلاع عليه على العقال فقط، وينقسم الدروز من حيث عقيدتهم الدينية الى العقال أو رجال الدين والجهال الذين يعرفون أيضاً بالجسمانيين . ينظر: محمد حسين كامل، طائفة الدروز تاريخها وعقيدتها ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٢؛ سليم ابو اسماعيل، الدروز وجودهم ومذهبهم وتوطنهم، ج١، مؤسسة التاريخ الدرزي، بيروت، د ت.

(٧) مصطلح سياسي أُطلق على الدول الاوربية التي تبنت إقامة نظام سياسي في جبل لبنان بالتشاور مع الباب العالي وهي بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا . ينظر: أميل خوري وعادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي، ج٢، دار الناشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٥٩، ص٢٣٠-٢٣١ .

(٨) اسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص١٦ .

(٩) نظام حكم أقرته الدولة العثمانية بالاتفاق مع الدول الكبرى وتمتع بموجبه جبل لبنان بحكم ذاتي ويدير شؤونه متصرفا مسيحيا يعين من قبل السلطان العثماني مباشرة بالاتفاق مع ممثلي تلك الدول، واحتوى النظام على ثماني عشرة مادة نظمت بموجبها شؤون جبل لبنان الداخلية، وفي ٩ ايلول ١٨٦٤ عُدلت بعض مواد ذلك النظام، واستمر العمل به حتى نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ حيث خضع لبنان لاحتلال دول الحلفاء

ثم أصبح تحت الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٠ . ينظر: لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧، ص٨ - ٢٥ .

(10)Documents diplomatiqes it consalairel relatifs a histoire du liban by Adel Ismail, Bayrouth , 1975-1978,v.12,no.61,p.219.Capitaine Fain to De Lhuys,Ministre Des Affaires Etrangeres,Paris,25 Decembre1865 . وسنشير الى المصدر باختصار D.D.C .

(11)Ibid

(12)D.D.C, v.11, no.94, p.389. Capitaine Fain to De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,26 Decembre1863 . .

(13)D.D.C,v.12, n0.61,Op.cit, p.219-220 .

(١٤) ولد من أسرة أرمنية كاثوليكية في استنبول عام ١٨١٢، تلقى تعليمه في الاستانة وأوروبا، عيّن في وزارة الخارجية وارتبط بعلاقات صداقة مع موظفي السفارة الفرنسية في الاستانة، اختير متصرفا على جبل لبنان عام١٨٦١ لمدة ثلاث سنوات، وجددت عام١٨٦٤ لمدة أربع سنوات ، وعيّن بعد ذلك في وزارة النافعة ، توفي في سويسرا عام١٨٧٢ . ينظر: المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية، بيروت، ١٩١٦ ، ص٧٤ .

(١٥) أسد رستم: المصدر السابق، ص٤٥؛ ياسين سويد، المقاطعات اللبنانية في إطار بلاد الشام، عهد المتصرفية(١٩٦١-١٩١٨)، ج٢، دار نوبليس، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٦.

(١٦) ولد في فردان بفرنسا عام ١٨١٨، عمل في وزارة الخارجية، وأصبح عضواً في الجمعية الوطنية الفرنسية عام١٨٥٩، ووزيراً للخارجية١٨٦٠-١٩٦٢، توفي عام ١٨٦٦. ينظر: Grand dictionaire encyclpedique larousse:paris,1985, v.10 , p.218

(17)(D.D.C,v.11,no.47,54,p.193,229. M.Outrey to A.M.Thouvenel Ministre Des Affaires Etrangeres, Beyrouth,9Juin,27Auut 1862, .

(18)D.D.C,v.11, n0.47,54 ,op.cit, p. 194,229\..

(١٩) شغلت الفتنة الطائفية التي حدثت في دمشق وعدد من المدن السورية في شهر حزيران عام ١٨٦٩ وراح ضحيتها عدد من المسيحيين تفكير السياسيين الفرنسيين الذين رءوا في تلك الاحداث فرصة للتدخل في سوريا وترسيخ مصالحهم هناك إلا أنهم اصطدموا بمعارضة الدولة العثمانية وبعض الدول الاوربية كبريطانيا التي رأت أن التدخل سيضفي الشرعية على الوجود الفرنسي في بلاد الشام، وبعد محادثات وضغوطات تعرضت لها العثمانيون، وافق الباب العالي والدول الاوربية في ٣ آب ١٨٦٠ على ارسال حملة عسكرية فرنسية مكونة من اثنا عشر الف مقاتل الى سوريا وحددت مهمتها بمساعدة القوات العثمانية على حفظ الامن والنظام في سوريا ومساعدة المسيحيين المتضررين من جراء تلك الفتنة، وفي منتصف آب من العام نفسه وصلت الحملة العسكرية الفرنسية الى بيروت وعلى الرغم من محاولة فرنسا توسيع انتشار جنودها في سوريا الا أن وجودها اقتصر على جبل لبنان واكتفت بتقديم المساعدات الى المحتاجين فقط، واستمر تواجدها هناك حتى حزيران عام ١٩٦١ حيث سحبت فرنسا جنودها من هناك بعد صدور نظام جبل لبنان في ٩ حزيران واستقرار الامن هناك . ينظر: سوسن سليم، الجذور التاريخية للازمة اللبنانية، الجزء الاول ١٨٦٠-١٨٦١، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤، ص٣٣١-٤٠٥ .

(٢٠) D.D.C,v.11, n0.63, p.258 . M.Drouyn De Lhuys to A.M.Outrey, Paris,26 Novembre 1862 ؛ ياسين سويد: المصدر السابق ص،١٩ .

(٢١) D.D.C,v.12, no.61, op.cit, p.222 .

(٢٢) D.D.C, v.11, n0.63, p. 259 .

(٢٣) D.D.C, v.12, n0.61, op.cit, p.219. .

(٢٤) D.D.C,v.12, no.61, op.cit, p. 221 . وأكد الكابتن فان في تقرير آخر أنه غادر مرسيليا مع مساعديه في ٢١ شباط ووصل بيروت في ٩ آذار عام ١٨٦٣. Capitaine D.D.C,v.11, no.76,p.304 Fain to Ministre De La Guerre, Beitddin 13 Juin 1863 . تقرير الكابتن فان في ١٣ حزيران ١٨٦٣ . ويبدو أن التاريخ الاول كان الاصح بدليل أن الكابتن فان وصل الى مقر المتصرفية في بيت الدين يوم ٨ آذار ١٨٦٣ . ينظر الفقرة التالية .

(٢٥) ارتبط الأمير سعيد بعلاقة صداقة مع احدى الاسر البريطانية التي استوطنت جبل لبنان وعمل مترجماً للمستر تشارلس تشرشل أحد الضباط البريطانيين الذين عملوا في الجبل، وقد قربه داود باشا واصبح من مستشاريه. ينظر: . D.D.C,v.12, no.61, op.cit, p.221

(٢٦) وتكتب إدغاماً بتدَين، وتعني بيت القضاء، إحدى قرى قضاء الشوف بجبل لبنان، وتبعد عن بيروت ٤٥كم، وعرفت باعتدال المناخ وكثرة ينابيع المياه واشتهرت بغاباتها الواسعة وأشجار الفاكهة فيها، وتميزت بقصورها الكثيرة؛ لاسيما القصر المعروف بقصر بيت الدين والذي بناه الامير بشير الشهابي الثاني عام ١٨٠٨ واتخذه مركزاً لحكمه على جبل لبنان . ينظر: طوني مفرج، موسوعة قرى ومدن لبنان، ج٥، دار نوبليس، بيروت، د ت، ص١٧٩-١٨٧ .

(٢٧) D.D.C,v.12,n0.61, op.cit, p. 221

(٢٨)

(٢٩) D.D.C, v.11,no.76,op.cit,p. 304,Capitaine Fain to Ministre de la Guerre, Beiteddin,13 juin 1863 .

(٣٠) D.D.C,v.12,n0.61, op.cit, p. 221-222

(٣١) Ibid, p.222.

(٣٢) D.D.C,v.11,n0.94,op.cit, p. 388,390 .

(٣٣) Ibid, p.388 .

(٣٤) D.D.C,v.12, no.61, op.cit , p.226

(٣٥) D.D.C v.12,no.6, p.53. Le Capitaine Fain to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,2 novembre1864.

(٣٦) D.D.C,v.11,n0.94,op.cit, p .395-396.

(٣٧) D.D.C,v.12, no.61, op.cit, p.222-223 .

(٣٨) Ibid, p.223 .

(٣٩) ظهرت الامارة المعنية كأمارة اقطاعية قبل السيطرة العثمانية على بلاد الشام عام ١٥١٦، ومارست نوعاً من الحكم المحلي على المقاطعات التي عرفت فيما بعد بجبل لبنان، ومنح السلطان العثماني سليم الاول فرماناً للأمير فخرالدين المعني الثاني أكد فيها سلطته على المقاطعات التابعة له وفوضه في جباية الضرائب، وعُد الأمير فخرالدين المعني الثاني أهم الأمراء المعنيين والذي بسط حكمه على المقاطعات المجاورة لجبل لبنان وخشيت الدولة العثمانية من توسعه ذلك وجهزت حملة عسكرية والقت القبض عليه وإعدامه عام ١٦٣٥، وعلى الرغم من ذلك أبقت الدولة العثمانية على حكم الامراء المعنيين على جبل لبنان حتى وفاة الأمير أحمد المعني عام ١٦٩٧ دون أن يعقب ولدا وانتقل حكم جبل لبنان الى أبن أخته الامير بشير الشهابي . ينظر: فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ت أنيس فريحة، دار الثقافة، ط٣، ١٩٧٨، ص٤٣٠-٤٦٠؛ عمر عبدالعزيز عمر، تاريخ لبنان الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص٢٨-٥٠ . .

(٤٠) D.D.C,v.11, n0.94, op.cit, p .396
(٤١) D.D.C,v.12, no.61, op.cit,p.225 .
(٤٢) Ibid , p.227
(٤٣) D.D.C, v.12, no.59, p. 212. M.Des Essards to A.M.Drouyn De Lhuys, Beyrouth, 23 novembre 1865 .
(٤٤) D.D.C, v.12, no.60, p. 215-216. M.Des Essards to A.M.Drouyn De Lhuys, Beyrouth, 20 decembre 1865.
(٤٥) D.D.C v.12,no.61, op.cit, p. 226. .
(٤٦) Ibid, p.222 .
(٤٧) Ibid, p. 223
(٤٨) D.D.C., v.11,no.94, op.cit, p. 390. .
(٤٩) Ibid
(٥٠) ياسين سويد: المصدر السابق، ص ٣١
(٥١) D.D.C v.12,no.61, op.cit, p. 222-223. .
(٥٢) D.D.C v.12,no.6,op.cit, p.52- 53. .
(٥٣) D.D.C. v.12,p.48-49,96-97. .
(٥٤) D.D.C. v.12, no.44, p.163-164. .
(٥٥) D.D.C,v.12, no.61,op.cit,p.224 .؛ ياسين سويد: المصدر السابق، ص ٤٩
(٥٦) Ibid, p.222 .
(٥٧) Ibid, p.225 .
(٥٨) D.D.C,v.12, no.61,op.cit, p.225 .
(٥٩) Ibid
(٦٠) Ibid
(٦١) Ibid, p. 222,228-229 .
(٦٢) Ibid, p. 228-229 .
(٦٣) D.D.C,v.12, no.61, op.cit,p. 229 . ومن الامثلة على ذلك ما قام به ضابطي درزي في حزيران عام ١٨٦٣ بالقاء القبض على أحد الجنود العثمانيين الذي حاول قتل ضابطي ماروني، وسلمه الى حكومة المتصرفية، ومحاولة الأمير سعيد شهاب في شهر أيار عام ١٨٦٤ إثارة فتنة بين أفراد الضابطية بين الدروز والموارنة إلا أنه فشل في ذلك.. D.D.C,v.12, no.61, op.cit,p.229 .
(٦٤) Ibid,p.229.
(٦٥) Ibid,p.231 .
)66 (D.D.C, v.11,n0.99, p.408 .Le Captaine Fain to A.M.Drouyn Lhuys,Deir Al-Kamar,20 fevrier 1864 .
(٦٧) D.D.C, v.12, no.59, op.cit, p.213. ؛ ياسين سويد: المصدر السابق: ص ٥٥-٥٦.
(٦٨) D.D.C, v.12, no.61, op.cit, p.219 .
(69) D.D.C, v.11, no.85,p.342.Letter Barticuliere Du Capitaine Leone Fain, Ason superieur Au Ministere De La Guerre Qui Fut Communiquee Confidentiellement Au Ministere Des Affaires Etrangeres, Beiteddin, 17 septembre 1863 .
(٧٠) سميت بذلك نسبة الى قيام عدد من الرهبان بترميم دير هناك وكانوا يعملون ليلا على ضوء القمر، وهي أشهر مدن جبل لبنان وتتبع قضاء الشوف وتقع جنوب شرق بيروت وتبعد عنها ٤٠كم، اتخذها الامراء الشهابيون مقرا لامارتهم وتحيط بها الاحراج من جميع الجهات وتشتهر بكثرة ينابيع المياه كنبع الشالوط وتعد من

المناطق الاثرية وتميزت بقصورها الجميلة؛ لاسيما قصور الامراء الشهابيين، وأكثر سكانها من المسيحيين الموارنة . ينظر: طوني مفرج، المصدر السابق، ج١١، ص٢١٢-٢٢٤ .

(٧١) أصل كلمة سبينة هو بشبنة وتعني في السريانية بيت البناء، وقرية لبنانية صغيرة تابعة لناحية بعبدا في قضاء الشوف، وتقع جنوب بيروت، وأكثر سكانها من المسيحيين الموارنة . ينظر: طوني مفرج، المصدر السابق، ج٩، ص١٩٨.

(٧٢) وتعني الرغبة والحسن وقيل تصغير من اسم حمد، وهي اشهر قرى قضاء الشوف بجبل لبنان وتقع على رابية مشرفة على البحر المتوسط، وتميزت بمصائفها الجميلة ومناخها وهوائها الصحي وأصبحت من أهم المواقع السياحية في لبنان وهي ذات أكثرية مسيحية . ينظر: طوني مفرج، المصدر السابق، ج٢، ص١١١-١١٨ .

(٧٣) D.D.C, v.12, no.61, op.cit, p.226 . .

(74) D.D.C, v.12, no.11, p.69 . Le Capitaine Fain to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,3 decembre 1864..

(٧٥) D.D.C,v.11, no.94 ,op.cit, p.397

(٧٦) D.D.C, v.12, no.11, op.cit, p.69 . .

(٧٧) D.D.C ,v.11, no.99, op.cit, p. 409 . ؛ ياسين سويد: المصدر السابق، ص ٤٩

(٧٨) Ibid, p.410 .

(79) D.D.C, ,v.11, no.114, p.451. Le Capitaine Fain to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,3 septembre 1864 .

(٨٠) ياسين سويد: المصدر السابق، ص ٥٢

(81) D.D.C, v.12, no.41, p.158. M.Des Essards to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Beyrouth, 23 mai 1865 .

(٨٢) Ibid

(٨٣) ياسين سويد: المصدر السابق، ص ٥٢

(٨٤) D.D.C, v.12, no.41, op.cit, p.158 . .

(٨٥) D.D.C, v.12, no.41, op.cit, p.158-159 . .

(86) D.D.C, v.12, no.52, p. 182-183. . M.Des Essards to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Beyrouth, 23 juillet 1865 ..

(٨٧) D.D.C,v.11, no.94, op.cit, p.397 .

(٨٨) D.D.C,v.11, no.85, op.cit, p.342 .

(٨٩) D.D.C, v.12,no.6, op.cit, p. 52. .

(٩٠) D.D.C, v.12, no.61, op.cit, p.225. .

(٩١) D.D.C, v.11, no.114,op.cit, p.451. .

(٩٢) Ibid .

(٩٣) D.D.C,v.11,no.99, op.cit, p.407-408 .

(94) D.D.C,v.11,no.106,p.432. Le Capitaine Fain to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,12 juin 1864 ..

(95)D.D.C,v.11, no.104, p. 428 . Le Capitaine Fain to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,14 mai 1864 ..

(96) ,p.428,433. Ibid

(97) D.D.C, v.12, no.45, p.167. M.Des Essards to A.M.Drouyn De Lhuys, Beyrouth, 12 juillet 1865

(٩٨) D.D.C, v.11, no.114, p.450-451. .

(٩٩) D.D.C, v.12, no.11, op.cit, p.68-69 . .

(100)D.D.C,v.11, no.105, p. 430. M.Outrey to M.Drouyn De Lhuys, Beyrouth,28 mai 1864..

(101)D.D.C,v.11, no.112, p. 448. Le Capitaine Fain to A.M. De Lhuys Ministre Des Affaires Etrangeres,Deir el-Kamar,24 juillet 1864 ..

(١٠٢) . D.D.C,v.11, no.114,op.cit, p. 451.

(١٠٣) . D.D.C, v.12,no.6, op.cit, p. 52.

(١٠٤) . Ibid.

(١٠٥) D.D.C, v.12,no.6, op.cit , p. 53-54

(١٠٦) Ibid, p. 54

(١٠٧) Ibid

(١٠٨) Ibid, p.55 .

(١٠٩) . D.D.C, v.12, no.59, op.cit, p. 213 .

(١١٠) . D.D.C, v.12, no.60, op.cit, p. 215 .

(١١١) . D.D.C, v.12, no.45, op.cit, p.167 .

(١١٢) Ibid

(١١٣) . D.D.C v.12,no.6, op.cit, p. 55 .

(١١٤) . D.D.C, v.12, no.11, op.cit, p.69 .

(١١٥) D.D.C,v.11, no.99,op.cit, p. 409 .

(١١٦) Ibid,p.410 .

(١١٧) وينسبون الى رجل من أهالي مدينو العمادية شمال العراق والذي هاجر في بداية القرن السابع عشر الى جبل لبنان، وأخذ يتنقل بين قراه حتى استق في قرية الباروك التي أصبحت اقطاعا له ولذريته، ودخل في خدمة الامير فخر الدين المعني الثاني (١٥٩٠-١٦٣٥)، وعندما انتقلت امارة الجبل الى الشهابيين عام ١٦٩٧ أيد آل العماد الامير حيدر الشهابي واشتركوا معه في معركة عيندارة عام ١٧١١ وتملكوا عن من الاقطاعات في جبل لبنان وأصبحت لهم مكانة مهمة وانضموا الى الحزب القيسي ضد الحزب اليمني، وعلى الرغم من تأييدهم للأمير حيدر إلا أنَّ العداء بدء بين الطرفين ودخلوا في صراع معهم ولم ينتهي حتى انتهاء عهد الامارة الشهابية عام ١٨٤٢، وقد هاجر عدد من آل العماد الى حوران واستقروا هناك . ينظر: طنوس الشدياق، أخبار الاعيان في جبل لبنان، ج١، مكتبة العرفان، بيروت، ١٩٥٤، ص١٨٥-١٧٤ .

(١١٨)

(١١٩) . D.D.C, v. 11, no.99, op.cit, p.410-411

(١٢٠) وتسمى أيضا معلقة زحلة وسميت بذلك؛ لأن بيوتها بنيت على المنحدرات حتى أصبحت وكأنَّها معلقة، وتشكل مع مدينة زحلة وحدة جغرافية واحدة، ويصلها عن الاخيرة نهر البردوني، وتشتهر بالزراعة: لاسيما زراعة الكروم والخضر، وسكانها أكثرهم مسيحيون . ينظر: طوني مفرج، المصدر السابق، ج٢٠، ص٢٠١-٢٠٥.

(١٢١) . D.D.C, v. 11, no.99, op.cit, p.411

(١٢٢) . Ibid, p.412

(123) D.D.C,v.11,,no.100, p. 414. M. Ceccaldi to A.M.Drouyn De Lhuys, Beyrouth,6 mars 1864 .

(124)D.D.C,v.11,no.101, p. 420. Le Captaine Fain to A.M.Drouyn De Lhuys,Beyrouth,7 mars1864.

(١٢٥) Ibid , p. 421.

(١٢٦) ظهر آل الخازن كأسرة لبنانية اقطاعية مسيحية في القرن السادس عشر وتولوا التزام مقاطعة الفتوح في قضاء كسروان بجبل لبنان، وتمتعوا بعلاقة جيدة بالامير فخرالدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥) ومن ثم

الأمراء الشهابيين(١٦٩٧-١٨٤١)، وأقاموا علاقات مع القناصل الفرنسيين في صيدا وتولوا إدارة القنصلية الفرنسية في بيروت في القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، وأدّوا دوراً مهماً في جبل لبنان خلال العهد العثماني(١٥١٦-١٩١٨). طنوس الشدياق، أخبارالاعيان في جبل لبنان، قدم له فؤاد إفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩، ص٦٧-٧٥ .

(١٢٧) . D.D.C, v. 11, no.101, op.cit, p. 422 .

(١٢٨) D.D.C,v.11, no.99, op.cit, p.408-409 .

(١٢٩) . D.D.C,v.12,no.61,op.cit, p. 230.

المصادر والمراجع

أولاً:- الوثائق المنشورة

•Documents diplomatiqes it consalairel relatifs a histoire du liban by Adel Ismail, Bayrouth , 1975-1978,v.11-12

ثانياً:- الكتب

•احمد طربين : ازمة الحكم في لبنان منذ سقوط الامارة الشهابية حتى قيام المتصرفية ، دار الفكر، دمشق ، ١٩٦٦.

•اسد رستم، لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣ .

•أميل خوري وعادل اسماعيل، السياسة الدولية في المشرق العربي، ج٢، دار الناشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ١٩٥٩ .

•سليم ابو اسماعيل، الدروز وجودهم ومذهبهم وتوطنهم، ج١، مؤسسة التاريخ الدرزي، بيروت، د ت.

•سوسن سليم، الجذور التاريخية للازمة اللبنانية، الجزء الاول ١٨٦٠-١٨٦١، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤ .

•عادل اسماعيل ومنير اسماعيل : تاريخ لبنان الحديث (الاوضاع الاجتماعية والنشاط الاقتصادي والثقافي ١٦٧٠-١٩٤٥) ، الجزء الاول ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، بيروت ، ١٩٩٠.

•عباس ابو صالح، التاريخ السياسي للمارة الشهابية ١٦٩٧-١٨٤٢، بيروت، ١٩٨٤ .

•عمر عبدالعزيز عمر، تاريخ لبنان الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤ .

•فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ت انيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨.

•لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧ .

•محمد حسين كامل، طائفة الدروز تاريخها وعقيدتها ، دار المعارف للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

•المسعودي، الدولة العثمانية في لبنان وسورية، بيروت، ١٩١٦ .

•ياسين سويد، المقاطعات اللبنانية في إطار بلاد الشام، عهد المتصرفية(١٩٦١-١٩١٨)، ج٢، دار نوبليس، بيروت، ٢٠٠٤ .

ثالثا:- الرسائل الجامعية

•احسان سعيد اسماعيل: التدخل الاجنبي في شؤون لبنان من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦١،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٧.
•كمال علي منذر، نظام الادارة في جبل لبنان في اثناء مرحلة القائمقاميتين ١٨٤٠-١٨٦١، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الانسانية، د ت .

رابعاً:- الموسوعات باللغة العربية

•طوني مفرج، موسوعة قرى ومدن لبنان، ج٥، دار نوبليس، بيروت، د ت .
•الهيثم الايوبي، الموسوعة العسكرية، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠ .

خامساً:- الموسوعات باللغة الاجنبية

•Grand dictionaire encyclpedique larousse:paris,1985, v.10 .

First: Books

•Ahmed Tarbin: The crisis of governance in Lebanon from the fall of the Shehabi emirate until the rise of the Mutasarrifiyah, Dar Al-Fikr, Damascus, 1966.
•Asad Rustom, Lebanon during the Mutasarrifiya era, Dar Al-Nahar Publishing, Beirut, 1973.
•Emile Khoury and Adel Ismail, International Politics in the Arab Levant, Part 2, Dar Al-Nasher for Politics and History, Beirut, 1959.
•Salim Abu Ismail, The Druze: Their Existence, Sect, and Settlement, Part 1, Druze History Foundation, Beirut, ed.
•Sawsan Selim, The Historical Roots of the Lebanese Crisis, Part One 1860-1861, Nahdet al-Sharq Library, Cairo, 1984.
•Adel Ismail and Munir Ismail: Modern History of Lebanon (Social Conditions, Economic and Cultural Activity 1670-1945), Part One, Publishing House for Politics and History, Beirut, 1990.
•Abbas Abu Saleh, The Political History of Al-Marah Al-Shihabi 1697-1842, Beirut, 1984.
•Omar Abdel Aziz Omar, Modern History of Lebanon, Dar Al-Nahda Al-Arabi, Beirut, 2004.
•Philip Hitti, Lebanon in History, edited by Anis Fariha, House of Culture, Beirut, 3rd edition, 1978.
•Lahad Khater, The Era of the Mutasarrifs in Lebanon 1861-1918, Lebanese University Publications, Beirut, 1967.
•Muhammad Hussein Kamel, The Druze Sect, Its History and Doctrine, Dar Al Maaref Printing, Cairo, 1962.
•Al-Masoudi, The Ottoman Empire in Lebanon and Syria, Beirut, 1916.
•Yassin Suwaid, The Lebanese Provinces within the Levant, The Mutasarrifiya Era (1918-1961), Part 2, Noblesse House, Beirut, 2004.

Second: University theses

•Ihsan Saeed Ismail: Foreign intervention in Lebanese affairs from 1840 to 1861, unpublished master's thesis, Faculty of Arts, Lebanese University, 1977.

•Kamal Ali Munther, The administration system in Mount Lebanon during the stage of the two governors 1840-1861, unpublished doctoral thesis, Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, D.T.

Third: Encyclopedias in Arabic

•Tony Mufarrej, Encyclopedia of Lebanon's Villages and Cities, vol. 5, Noblesse House, Beirut, ed.

•Al-Haytham Al-Ayoubi, Military Encyclopedia, Part 2, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1990